سلسلة كتب الدعوة والخطابة

الكتاب العاشر

في ظلال خطب الجمعة

(الجزء الثالث)

أ.د/ أحمد عبد الهادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

سورة الذاريات الآية (٥٥).

في ظلال خطب الجمعة (جـ٣)

رقم الإيداع/ ١٦٠٧١/ ٢٠١٥ بدار الكتب المصرية.

الطبعة الأولى/ سنة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

مقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، ورحمة الله للعالمين ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.....فلا يختلف اثنان في أهمية الخطابة ودورها في إيقاظ الأمم النائمة، وإحياء الشعوب الميتة، وتنشيط الضمائر الفاترة، وتحويل واقع المجتمعات من الضعف إلى القوة، ومن الهزيمة إلى النصر، ومن الجبن والخور إلى الشجاعة والإقدام؛ وذلك بما تبثه الخطابة في نفوس الناس من روح وقوة وحياة.

والمسلمون في كل زمان ومكان يحتاجون إلى الخطابة الدينية، خاصة في مواسم الخير والطاعة، مثل خطبة الجمعة المؤتمر الأسبوعي، وخطبة العيدين، الفطر والأضحى من كل عام، وخطبة عرفات في موسم الحج، المؤتمر السنوي العالمي، والمناسبات الإسلامية مثل شهر رمضان، وغيرها.

والخطيب يستطيع من خلال ذلك المنبر، الذي يعد من أقوى وسائل الاتصال بالناس، والجماهير الغفيرة، أن يصنع شيئا مذكورا، حينما يبث حماسه في نفوس مستمعيه، وينقل ما في قلبه إلى قلوب الآخرين، فتتغير أحوال الناس من الفتور إلى العمل، ومن الركود إلى الحركة والحياة.

فالخطيب الناجح هو الذي يسعى إليه جمهوره ومحبوه من أقصى مكان إلى المسجد الذي يخطب فيه، فهم يقطعون مسافات طوال، ويتحملون وعثاء السفر، ويمرون على مساجد وخطباء تزيد على المئات، من أجل أن يستمع أحدهم إلى خطبة واحدة من

خطيب مؤثر، يرقب نبرات الخطيب من على شفتيه، ويسمع صوت شهيقه وزفيره، بل يكاد يحس بضربات قلبه ونبضها، من شدة شغفه وتعلقه بكلماته وموعظته.

لقد خلد التاريخ قديما وحديثا أسماء مشاهير الخطباء، الذين أسعدوا أمتهم ومستمعيهم بالفكرة النقية الصافية، وحسن العرض، والأداء المؤثر، حتى وعتهم ذاكرة التاريخ، وسجلوا أسماءهم في قلوب الناس بالسيرة الحسنة.

وهذه ثلة خطب موجزة، تعد بمثابة قواعد إرشادية، أو علامات ضوئية، أو إشارات على الطريق، اجتهدت في آدائها وكتابتها، بعد ان تخرجت في الجامعة، ودخلت في ميدان الدعوة والخطابة، فقمت بجمها ومراجعتها ونشرها، لتكون مادة علمية، لمن يحاول أن يعد خطبة ناجحة.

أرجو من الله أن أنتفع بها أولا، وأن ينفع بها إخواني الخطباء والدعاة، لتنجح الخطابة نجاحا عظيما، وتؤثر في تغيير وإصلاح المجتمعات الإسلامية، نحو الأفضل والأمثل. قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[1].

نسأل الله ﷻ التوفيق والقبول والسداد.

وأن يرزقنا الإخلاص في النية والقول والعمل.

❁❁❁

(١) سورة هود الآية (٨٨).

(٤١) قيمة النية وأهميتها في الإسلام.

١ - النية معيار قبول العمل أو رده.

٢ - النية الصالحة تحول العادة إلى عبادة.

٣- صدق النية يوجب الثواب من الله وإن لم يتم العمل.

٤ - النية الصالحة تكسب العبد المعونة والتوفيق من الله.

٥-النية المدخولة تحبط العمل.

٦-وأخيرا النية الحسنة لا تأثير لها في أمرين.

❁❁❁

١ - النية معيار قبول العمل أو رده:

النية: هي روح العمل وقوامه، وهي ركن الأركان، وشرط من أهم الشرـوط في جميع الأعمال. وهي تعنى: انبعاث القلب نحو العمل، الموافق لغرض صحيح، من جلب نفع أو دفع ضر.

وهي: الإرادة المتوجهة تجاه الفعل لابتغاء مرضاة الله، وامتثال أمره.وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"**[1].

([1]) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

والنية محلها القلب، وهو موضع نظر الله ﷻ فالله ﷻ لا ينظر الى الصورة الظاهرة للإنسان، وإنما ينظر إلى الباطن والداخل الذي يعبر عن الحقيقة. فإذا كانت صالحة قبل الله العمل، وإذا كانت فاسدة رد العمل على صاحبه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[١].

والإنسان إذا خرج مهاجرا إلى الله ورسوله، وأدركه الموت في الطريق، قبل أن يصل الى مكان الهجرة، فقد حصل الأجر والثواب بنيته الصادقة، وأخذ ثواب المهاجرين، وذلك من فضل الله وتيسيره، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [٢].

❁❁❁

٢- النية الصالحة تحول العادة إلى عبادة: والمباح إلى طاعة، والشهوة إلى قربة وطاعة لله ﷻ وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"وفي بضع أحدكم صدقة"**[٣].

فالزواج من المباحات، لكن المسلم إذا قصد بالزواج أن يعف نفسه عن الحرام، وأن يستمتع بالنعمة في الحلال، أصبح زواجه عبادة يثاب عليها من الله.

---

(١) سورة الفرقان الآية (٢٣).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٠).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر الغفارى ﷺ.

فالإنسان يقضى غريزته في الحلال، ويثاب عليها إذا حسنت النية، وكذلك الإنسان حينما يطعم زوجته وأولاده يثاب على ذلك، وفي الحديث أن النبيﷺ قال: **"حتى اللقمة يضعها في فم امرأته فله بها أجر"**(١).

أغلب الناس يمارسون الرياضة، لكن المسلم حين يمارسها بقصد أن يقوى بدنه على طاعة الله، تصبح هذه الرياضة عبادة، يتعبد بها إلى الله ﷻ ويأخذ عليها أجرا.

❁❁❁

٣- صدق النية يوجب الثواب من الله وإن لم يتم العمل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾(٢).

فمن خرج إلى الهجرة فرارا بدينه، ونصرة لله ورسوله، ثم مات في الطريق، فقد نال الثواب كاملا، رغم أنه لم يحقق ما يريد.وفي الحديث أن النبيﷺ قال: **"من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"**(٣).

فمن تمنى الشهادة، وحرص عليها، وسعى إليها، ثم مات على فراشه، فقد بلغ منازل الشهداء في الجنة. وفي الحديث أن النبيﷺ قال: **"إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا، ولا سرتم مسيرا، إلا كانوا معكم في الأجر، حبسهم العذر"**(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٩٣٦) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) سورة النساء الآية (١٠٠).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٩٠٩) عن سهل بن حنيف ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٤٢٣) عن أنس بن مالك ﷺ.

فالصحابة الكرام، أثناء غزوة تبوك، التي تسمى بغزوة العسرة، كانوا في شدة الحر، وبعد المسافة، وقلة ذات اليد، من المال والعتاد، فبقى بعضهم بالمدينة، لعذر الفقر، وصعوبة الإمكانات، ومع ذلك قال فيهم النبيﷺ هؤلاء شاركوكم في الأجر، بنياتهم الصالحة، رغم أنهم بقوا في المدينة، ولم يخرجوا للغزو معكم.

فحسن النية هو الذي جعل غير الغازي، مثل المجاهد في سبيل الله ﷻ في الأجر، بصدق نيته، وحسن طويته، بالرغم من ظروفه التي منعته من المشاركة.

والإنسان إذا كان يعمل عملا صالحا، ثم مرض أو سافر فانقطع عن العمل، كتب الله له من الأجر قدر ما كان يعمله وهو صحيح أو مقيم. وفي الحديث أنه ﷺ قال: **"من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات"**(١).

وفي الحديث قال أبو بُرْدَةَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى مِرَارًا يقولُ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: **"إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا"** (٢).

وعلى العكس من ذلك فالنية السيئة تقلب المباح مكروها، والجائز ممنوعا، والمستحب محرما. وفي الحديث أنه ﷺقال: **"من تزوج بصداق لا ينوي أداءه فهو زان، ومن أدان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق"**(٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٣٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان ٢/٢٧٠ صحيح لغيره، وله شواهد من طرق أخرى، عن أبي هريرة ﷺ.

فالجزاء من جنس العمل، والعمل مداره على النية، والنية هي التي يترتب عليها القبول أو الرد.

❁❁❁

٤- النية الصالحة تكسب العبد المعونة والتوفيق من الله: فالمعونة والتوفيق من الله مرتبطان بحسن النية من الإنسان وإخلاصها لله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾[١].

وفي قصة الصلح بين الزوجين في شأن الحكمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾[٢].

فالوفاق بين الزوجين، مرتبط بإخلاص النية في الإصلاح من الحكمين.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها، أتلفه الله"**[٣].

فالمدين إذا كانت نيته السداد، أعانه الله ووفقه، ويسر له السداد، والعكس صحيح.

❁❁❁

(١) سورة الأنفال الآية (٧٠).

(٢) سورة النساء الآية (٣٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٣٨٧) عن أبي هريرة ﷺ.

٥-النية المدخولة تحبط العمل:

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"** (١).

فنلاحظ أن نية الهجرة لم تكن خالصة، فلم يثب صاحبها عليها، وقال ﷺ فهجرته إلى ما هاجر إليه، إهملا لشأنه، وتحقيرا لأمره.

وفي الحديث أن النبي ﷺقال: **"من غزا في سبيل الله، وهو لم ينو إلا عقالا، فله مانوى"** (٢).

فهذا المجاهد إذا قصد الغنيمة من جهاده، فليس له من أجر وثواب عند الله في الآخرة.

وفي مجال القرض أيضا كما سبق، من أخذ مالا من الناس وفي نيته أنه لا يريد رده، فيعاقبه الله بسؤ نيته، فيتلف له المال، ويكون سببا في هلاك صاحبه، وفي الحديث أن النبيﷺ قال: **"ومَن أخذَها -أي أموال الناس- يريدُ إتلافَها، أتلفَهُ اللهُ"**(٣).

وكذلك أيضا الحديث المشهور، الذي يحكى قصة أول من تسعربهم النار ثلاثة، عالم، ومجاهد، ومتصدق، أتو بأعمال عظيمة لكنها لم تكن خالصة.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢٦٥/٢ حسن لغيره، عن عبادة بن الصامت ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٤٠٧) وقال شعيب الأرنؤط صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

ففي الحديث يقول ﷺ: **"إنَّ اللهَ إذا كان يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ لِيقضيَ بينهم، وكلُّ أمةٍ جاثيةٌ، فأولُ مَن يدعو به رجلٌ جمع القرآنَ، ورجلٌ قُتِلَ في سبيل اللهِ، ورجلٌ كثيرُ المالِ، فيقولُ اللهُ للقارىءِ: ألم أُعلِّمْك ما أَنزلتُ على رسولي قال: بلى يا ربِّ قال: فماذا عمِلتَ فيما علمتَ؟ قال: كنتُ أقوم به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، فيقولُ اللهُ له: كذَبْتَ، وتقول له الملائكةُ: كذَبْتَ، ويقول اللهُ له: بل أردتَ أن يقال فلانٌ قارىءٌ، فقد قيل ذلك. ويُؤتَى بصاحبِ المالِ فيقولُ اللهُ له: ألم أُوَسِّعْ عليك حتى لم أَدَعَكَ تحتاجُ إلى أحدٍ؟ قال: بلى يا ربِّ، قال: فماذا عملْتَ فيما آتيتُك؟ قال: كنتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وأتصدَّقُ، فيقولُ اللهُ له: كذَبْتَ، وتقولُ الملائكةُ: كذَبْتَ، ويقول اللهُ: بل أردتَ أن يُقال: فلانٌ جوَادٌ، فقد قيل ذلك، ويُؤتَى بالذي قُتِلَ في سبيل الله فيقولُ اللهُ: فيماذا قُتِلْتَ؟ فيقول: أَمرْتَ بالجهادِ في سبيلِك فقاتلتُ حتى قُتِلْتُ، فيقولُ اللهُ له: كذَبْتَ، وتقولُ الملائكةُ: كذَبْتَ، ويقولُ اللهُ: بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ جريءٌ، فقد قيل ذلك. يا أبا هريرةَ أولئك الثلاثةُ أولُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بهم النَّارُ يومَ القيامةِ"**(١).

فعملهم كان عملا جيدا، لكن النية كانت مدخولة، ولم تكن خالصة لوجه الله ﷻ لذلك كانت العقوبة شديدة يوم القيامة، فهم في مقدمة من يدخل النار، وتسعر بهم، رغم أن الناس استافدوا مما قدموا من أعمال جيدة، لكنها غير خالصة.

❁❁❁

(١) الحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع (١٧١٣) صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

٦- وأخيرا النية الحسنة لاتأثير لها في أمرين:

الأول: في حالة المعاصي والمحرمات، لا تتحول إلى طاعة بالنية، كمن يكسب أمواله من الربا، ثم يبنى بها مسجدا، فهذا العمل لاقيمة له، ولا أثر له عند الله، وفي الحديث أن النبي ﷺقال: **"إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا"** (١).

وكذلك الذي يغتاب شخصا ليطيب خاطر شخص آخر، هو عاص لله وآثم، ولا تنفعه نيته الحسنة في شيء.

وكذلك أيضا الذي يقيم الحفلات الراقصة، أو يشترى أوراق اليناصيب، ثم يتبرع بعائدها لتشجيع المشروعات الخيرية، أو ينفق منها على إطعام الفقراء، وإفطار الصائمين، فعمله مردود عليه، وهو عاص لله ﷻ لا تنفعه نيته الحسنة.

الثانى: العبادات التي لم يشرعها الله ﷻ من فعلها بقصد القربة من الله، لا أثر لها عند الله ﷻ لأنه لا يعبد الله إلا بما شرع هو، لا بما يخترع الإنسان، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"** (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ (٣). فمن كان يريد مرضاة ربه وجنته، يجب أن يكون عمله على هدى الرسول ﷺ وخالصا لوجه الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يحسن نياتنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ﷺ.

(٣) سورة الكهف الآية (١١٠).

(٤٢) دروس من الهجرة النبوية الشريفة.

عوامل نجاح الهجرة.

١- النية الصالحة.

٢- التخطيط الجيد.

٣- التضحية الغالية.

٤-المعية الإلهية.

❁❁❁

لماذا نتحدث عن الهجرة النبوية الشريفة الآن، وفي هذه الأيام بالذات؟ والإجابة: لمناسبة الأيام التي نعيشها وهي بدء العام الهجري الجديد، فما أجمل التذكرة حين تكون الذكرى، ولنستخلص منها بعض الدروس والعبر، التي تنفع الأمة في حاضرها ومستقبلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾[1]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾[2].

وكذلك لأن الهجرة أعظم حدث في تاريخ الإسلام والمسلمين الأوائل، حيث نقلتهم من الضعف إلى القوة، ومن الاضطهاد إلى الأمن والأمان، ومن الدعوة فقط

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٥).

(٢) سورة الذاريات الآية (٥٥).

إلى الدعوة والدولة، والنصر والتمكين في الأرض، فلولا الهجرة ما خرج الإسلام من مكة، ولا انتشر في الجزيرة العربية، ثم انطلق من المدينة المنورة، إلى أنحاء العالم.

ومن عوامل نجاح الهجرة المباركة أنها قامت على الأسس الآتية:

١ - النية الصالحة:

إن كل عمل لابد أن تسبقه نية، سواء كانت حسنة أو سيئة، لأنها التي يترتب عليها قبول العمل أو رده على صاحبه، حتى ولو كان عظيما، ومن ثم فالنية الصالحة مهمة جدا في بداية الأمور كلها، وفي الحديث قال ﷺ: **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"**(١).

فالنبي ﷺ وصاحبه كانت هجرتهما من مكة إلى المدينة ابتغاء مرضاة الله، وكذا الصحابة الكرام، حينما استنفرهم النبي ﷺ للهجرة، فكانت نياتهم ابتغاء مرضاة الله، لذلك كان التوفيق من الله حليفهم جميعا، وكانت النية الخالصة سببا في نجاح الهجرة، وتحقيق الثواب والأجر من الله ﷻ.

❁❁❁

٢ - التخطيط الجيد، ومن ذلك ما يأتي:

١ - اتخذ النبي ﷺ الراحلة، التي تنقله من مكة إلى المدينة قبلها بستة أشهر، وقام أبو بكر ﷺ برعايتها حتى يحين وقت الرحيل.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

٢- اتخذ النبيﷺ الرفيق في الرحلة، متمثلا في شخص سيدنا أبي بكر ﷺ حتى يكون رفيقه في هذه الرحلة الشاقة الطويلة.

٣- اتخذ النبي ﷺالدليل، فاستأجر عبد الله بن أريقط، فهو خريت عارف بالطرق والشعاب، فسلك بهما طريق اليمن من جنوب مكة.

٤- اتخذ النبيﷺ من يأتيه بأخبار مكة، فكان عبد الله بن أبي بكر ﷺ وهو غلام شاب ثقف حاذق، فكان يبيت في مكة ليأتيه بالأخبار في الصباح الباكر.

٥- اتخذ النبي ﷺ من يأتيه بالطعام والشراب، فكانت السيدة أسماء ذات النطاقين ﷺ تتحمل السير في الصحراء والجبال من أجل مساعدة النبي ﷺ ووالدها.

٦- اتخذ النبيﷺ من يمحو آثار الأقدام، فكان عامر بن فهيرة، غلام أبي بكر ﷺ يرعى الغنم بجوار الغار، ليمحو آثار النبي ﷺ وصاحبه وكل من يأتي إليهما.

٧- اتخذ النبي ﷺ الطريق الجانبي غير المألوف، طريق اليمن، حتى لا يستطيع أن يصل إليه المشركون إلا بعد عناء ومشقة.

٨- المكث في الغار ثلاثة أيام، حتى يهدأ الطلب، وتيأس قريش من العثور عليهما، فتسكت عنهم.

وما أحوج المسلمين الآن إلى التخطيط الجيد، الذي يستفيد من كل الطاقات، وفئات المجتمع، ويوظفها من أجل نصرة الإسلام والتمكين له.

❁❁❁

٣-التضحية الغالية:

إن كل عمل ناجح يحتاج إلى تضحيات عظيمة، والعمل العظيم الذي قام به النبيﷺ هو بناء دولة، وقيام أمة، وبعثة رسالة جديدة، لذلك ضحى الصحابة بأمور كثيرة، من أجل إنجاح الهجرة، منها ما يأتي:

١-التضحية بالبلد، فكل من هاجر من مكة إلى المدينة، إنما ترك بلده الذي ولد فيه، لأنه خرج قهرا وفرار بدينه، والنبي ﷺ قال وهو خارج من مكة: **"والله إنك لأحب البلاد إلى الله، وأحب البلاد إلى، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت"** (١).

٢- هناك من الصحابة من ضحى بالزوجة والولد والعاطفة، مثل أبي سلمة مع زوجته، في قصته المشهورة.

٣- هناك من الصحابة من ضحى بماله كله، مثل صهيب بن سنان، في قصته المشهورة أيضا.

٤- هناك من الصحابة من ضحى بنفسه، وعرضها للهلاك، فداءً للنبي ﷺ مثل على بن أبي طالب رضي الله عنه الذي نام على فراش النبي ﷺ.

والدرس الذي نتعلمه هنا، أن نجاح الدعوة يحتاج إلى تضحية بالغالي والنفيس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

(١) الحديث أخرجه الإمام الدارقطني (١٠٤) حسن صحيح ثابت، ولم يأت من وجه صحيح شيء يعارضه، عن عبد الله بن عدى بن الحمراء رضي الله عنه.

وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢).

❁❁❁

٤ – المعية الإلهية:

حينما تنتهي الأسباب البشرية التي أخذت بها، وتستفرغ الجهد والوسع، تأتى المعية الإلهية، والتوفيق الرباني، لينقذ الإنسان من الهلاك، وأوضح مثال على ذلك، كان في موقف النبيﷺ وصاحبه في الغار، حينما وصل إليه المشركون، وأبو بكر ﷺ يقول: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا؟.

فيقول النبي ﷺ: **"يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا"** (٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

(١)سورة التوبة الآية (١١١).

(٢) سورة التوبة الآية (٢٤).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٦٦٣) عن أبي بكر ﷺ.

سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

وتتجلى المعية أيضا في قصة سراقة بن مالك، حينما لحق بهما، فساخت أقدام فرسه في الرمال، ليعلم أنه أمام نبي مؤيد بالوحي والرسالة، كذلك تجلت المعية الربانية، حينما أجرى الله اللبن في ضرع شاة أم معبد العجفاء، فشرب النبي ﷺ ومن معه من هذا اللبن، حتى شبع الجميع.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2].

وإذا العناية لاحظت عيونها ∴ نم فالمخاوف كلهن أمان.

نسأل الله ﷻ أن يحفظنا بعنايته ورعايته.

❁❁❁

(١) سورة التوبة الآية (٤٠).

(٢) سورة الطور الآية (٤٨).

(٤٣) مكانة المسجد وأثره في الإسلام.

١- مكانة المسجد وأهميته في الإسلام.

٢- أثر المسجد في بناء المجتمع.

❁❁❁

١- مكانة المسجد وأهميته في الإسلام:

١- أول عمل عمله النبي ﷺ بعد الهجرة في المدينة هو بناء المسجد، لأن المسجد هو حجر الزاوية، وهو نقطة الانطلاقة، وهو الرئة التي يتنفس منها المسلمون في عبادتهم الجماعية لله ﷻ كل يوم خمس مرات.

٢- كان بناء المسجد النبوى بناءً بسيطا، كان طوله سبعين ذراعا، وعرضه قريبا من ذلك، ليس له باب ولا شباك، جدرانه من الطوب اللبن، وأعمدته من جذوع النخل، وسقفه من سعف الجريد، كان يحمى الصحابة من حر الصيف، وقيظ الشتاء، وكان يتميز بأنه خرج أعظم الرجال على مدى التاريخ.

٣- المسجد كان نقطة البداية والانطلاقة في جميع الأعمال، فكان ﷺ إذا أراد سفرا خرج من المسجد، وإذا عاد من السفر عاد إلى المسجد، وإذا أراد غزوة انطلق من المسجد، فكان المسجد هو المنطلق لكل عمل إصلاحى في الحياة.

٤- لشرف المساجد نسبها الله ﷻ إلى نفسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[١].

فيجب أن تكون النية في بناء المسجد خالصة لوجه الله، ويقصد بالعبادة في داخله مرضاة الله، ولا يدعى لأحد غير الله ﷻ في المسجد.

٥- مدح الله رواد المساجد، وأثنى عليهم في القرآن الكريم، فقد شهد لهم بأنهم أهل الإيمان، وأنهم لا يخافون إلا من الله وحده، وهم المفلحون والمهتدون في الدنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[٣].

فعمار المساجد هم أهل الإيمان، والعبادة، والخشية، وهم الخائفون من الله ﷻ في الدنيا، الأمنون من عذابه يوم القيامة، وهم أهل الهداية في الدنيا، والأمن والأمان في الآخرة.

---

(١) سورة الجن الآية (١٨).

(٢) سورة التوبة الآية (١٨).

(٣) سورة النور الآيتان (٣٦-٣٧).

٦- من بين السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ﷺ. **"ورجل قلبه معلق بالمساجد"**(١).

فكأنه ما إن يخرج من المسجد بعد أداء الصلاة، حتى يشتاق إلى العودة إليه مرة ثانية في الصلاة القادمة، فأصبح المسجد جزءا من حياته اليومية، لا يستطيع أن يستغنى عنه.

٧- المسجد في تصميمه ومظهره يختلف عن بيع اليهود، وكنائس النصارى، وهذا يدل على استقلال المسجد في شخصيته، وأن له سمته الخاص المميز، الذي يعرف بسمته ومناراته بين الناس، سواء في الشرق أو الغرب.

❁❁❁

٢-أثر المسجد في بناء المجتمع.

١- المسجد مكان لصلاة الجماعة، الصلوات الخمس اليومية، وفي الحديث قالﷺ: **"صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة"** (٢). فهي في المسجد مضاعفة الثواب، وتشهدها الملائكة، وفيها التوفيق والبركة من الله ﷻ.

٢- المسجد مكان لصلاة الجمعة، العيد الأسبوعي، وهي مظهر للقوة والوحدة بين المسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾(٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٦٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٥) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٣) سورة الجمعة الآية (٩).

٣- المسجد مكان لـدروس العلـم والمعرفـة، وفي الحـديث قـال ﷺ: **"جلـيس المسجد على ثلاثة خصال، أخ مستفاد، حكمة محكمة، رحمة منتظرة"** (١).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"من دخل مسجدنا هذا ليعلم خيرا، أو ليتعلم، كان كالمجاهد في سبيل الله"** (٢).

٤- المسجد مكان ليشهد المسلمون فيـه عقـود الـزواج، وفي الحـديث قـال ﷺ: **"أعلنوا هذا الزواج، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف"**(٣).

فحيثما تكون بداية تكوين الأسرة في المسجد، فتكون بداية للتوفيق والخير والبركة من الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾(٤).

٥- المسجد مكان لجلسات القضاء، وفض المنازعات بين المسلمين، فهو محكمـة شرعية، يحكم فيها الإمام أو القاضي بين الناس، بالقرآن الكريم، والسنة النبوية.

---

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١/١٧٦ قال الألباني: حسن صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام الشوكاني في السيل الجرار ١/١٨٠ رجاله ثقات، عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٠٨٩) وقال: غريب حسن، وعيسى بن ميمون الأنصاري يضعف في الحديث عن عائشة ﷺ.

(٤) سورة التوبة الآية (١٠٩).

٦- المسجد ناد ثقافي للشعر والأدب، فحسان بن ثابت ﷺ كان ينشد الشعر في مسجد النبي ﷺ ويقول له: **"اهجهم -أي المشركين- وجبريل معك"** (١).

٧- المسجد كان مبيتا ومطعما لأهل الصفة، يجدون فيه النوم الهادئ، والطعام الذي يسد جوعتهم، والماء الذي يروي ظمأهم، فالمسجد بيت من لابيت له، وملجأ من لا مأوى له.

٨- والمسجد كان مشفي لعلاج المرضي، فقد عولج سعد بن معاذ ﷺ في مسجد النبي ﷺ بعد إصابته في غزوة الأحزاب، وكان جرحى المسلمين من الغزوات والمعارك يعالجون في المساجد، قبل بناء المستشفيات الخاصة بذلك.

٩- المسجد كان ساحة للتدريب على الفروسية وأعمال القتال، والترفيه عن النفس باللهو المباح، فالأحباش لعبوا بالحراب في المسجد النبوى، وكانت السيدة عائشة ﷺ تشاهدهم من خلف كتف الرسول ﷺ.

قال النووي-رحمه الله-: (فيه جوازاللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب في المسجد، ويلتحق به ما في معناه، من الأسباب المعينة على الجهاد).

١٠- المسجد كان سجنا للمخطئين، وذلك قبل بناء السجون، حيث سجن فيه أبو لبابة حينما أخطأ، وربط نفسه في سارية من سوارى المسجد، إلى أن نزل فيه العفو من الله ﷻ (٢).

---

(١) الحديث ذكره الألبانى في السلسلة الصحيحة (٢٠٨٤) صحيح، عن البراء بن عازب ﷺ.

(٢) القصة أوردها الإمام بن القيم في زاد المعاد ٤٨٧/٣ عن ابن عباس ﷺ.

١١- وأخيرًا وليس آخرًا، المسجد مكان لصلاة النساء فيه وتعليمهم، وفي الحديث قال ﷺ: **"لا تمنعوا إماء الله المساجد وبيوتهن خير لهن"** (١).

فالمرأة إذا طلبت من زوجها أن يذهب بها إلى المسجد للصلاة، أو حضور مجلس علم، أو حضور منفعة عامة للمسلمين بالمسجد، فليس له أن يمنعها من ذلك، أو يوفر لها البديل الذي يحقق الهدف المطلوب، من خلال الوسائل البديلة الحديثة، من الأشرطة والاسطوانات، والمواقع الإلكترونية للتعليم، والدورات التدريبية.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من رواد المساجد وعمارها.

وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٩٩٠) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٤٤) الأخوة الإسلامية.

١- مكانة الأخوة ومنزلتها.

٢- فضائل الأخوة.

٣- شروط الأخوة وحقوقها.

٤- نماذج تطبيقية للأخوة.

❁❁❁

الأخوة الإسلامية أحد عناصر القوة الثلاثية، وهي:

١- قوة الإيمان والعقيدة:

٢- قوة الأخوة والرابطة:

٣- قوة الساعد والسلاح:

وهذه القوة الثلاثية هي التي ميزت مجتمع النبيﷺ وجعلت منه مجتمعا مثاليا، حقق بها نشر الإسلام، ورفع راية التوحيد عالية خفاقة، ومكَّن لهذا الدين في الأرض، في أقل من ربع قرن من الزمان.

واليوم، وفي القرن الخامس عشر الهجري، نحاول تجديد هذه القوى بين المسلمين، لما لها من أثر قوى وفعال، في عودة الأمة إلى سابق عهدها، وسالف مجدها، قال عبد الله بن المبارك -رحمه الله-:

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل ∴ ولكان أضعفنا نهبا لأقوانا.

ولن يتحقق ذلك إلا بقوة الأخوة والرابطة.

أخوة الدين يا قوم تناديـــا ∴ لكى ننال بها عزا وتمكينـا.

١- مكانة الأخوة ومنزلتها:

الأخوة الإسلامية نعمة إلهية من الله ﷻ ومنحة قدسية من المولى ﷻ وإشراقة ربانية نورانية، يهبها الله ﷻ للمخلصين من عباده، والأصفياء من أوليائه.

فالأخوة نعمة من الله ﷻ هو الذي أوجدها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

وهي منحة من الله ﷻ لأنه هو الذي وهبها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

فهي نعمة ومنحة وألفة ومحبة ورحمة، قال ﷺ: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"** [3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأنفال الآية (٦٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير ﷺ.

إن الأخوة الإسلامية تصنع من المسلمين بناءً مرصوصا، وصرحا شامخا، لأنها أقوى بناء معنوي، وأقوى رابطة يمكن أن توجد بين مجتمع ما، إنها أقوى من البناء المادي، لأنه معرض للهدم والانهيار، أمام عوامل التعرية، وصوارف الدهر.

فالأخوة الإسلامية، كالصخرة التي تتحطم عليها كل معاول الهدم والتدمير، فهي بناء قوي مرصوص قال ﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا"** (١).

والأخوة ليست مما يشتريه الناس بالأموال، وليست تتوارث بالكلام، وإنما هي معايشة، وامتزاج روح بروح، وتعانق قلب مع قلب، وهي من أخص خصائص المؤمن الصالح. قال ﷺ: **"المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف"** (٢).

والأخوة الإسلامية مرتبطة بالإيمان والتقوى، والإيمان كذلك مرتبط بالأخوة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣).

أى ليس المؤمنون إلا إخوة، وليست الأخوة الصادقة إلا أخوة الإيمان، فإذا رأيت بين الناس أخوة بلا إيمان، فهي أخوة كاذبة، لا جذور لها ولا ثمر، وإذا رأيت

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٤٤٦) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٠/٨ رجال أحمد رجال الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) سورة الحجرات الآية (١٠).

إيمانا بلا أخوة، فهو إيمان ناقص، لم يبلغ المستوى المطلوب، وقد ينتهي إلى العداوة، والبغضاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

إن الأخوة الإسلامية تجعل المجتمع المسلم كله روحا واحدة، وجسدا واحدا، كما قال الشاعر:

فإذا أبصرته أبصرتني ∴ وإذا أبصرتني أبصرتنا.

❁❁❁

٢- فضائلها:

للأخوة الإسلامية فضائل كثيرة، وفوائد عظيمة، من الأجر والثواب، لما يترتب عليها من الآثار الطيبة في المجتمع، من توحيد الكلمة، وجمع الصف، وتأليف القلوب، ومن هذه الفضائل ما يأتي:

١- إنهم هم المتذوقون لحلاوة الإيمان، وما سواهم لا يشعر بذلك، قال ﷺ: **"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر- بعد أن أنقذه الله منه- كما يكره أن يقذف في النار"**[2].

٢- إنهم في كنف المحبة الإلهية، وظل عرش الرحمن، فإن الله ﷻ يقول يوم القيامة كما جاء في الحديث القدسي: **"أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي"**[3].

---

(١) سورة الزخرف الآية (٦٧).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢١) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٦٦) عن أبي هريرة ﷺ.

و في الحديث قال ﷺ: **"سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، منهم... ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه"**(١).

وقال ﷺ: **"إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فارصد الله ﷻ على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا. غير أنني أحببته في الله ﷻ قال: فإني رسول الله إليك، أخبرك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه"**(٢).

٣- إن الملائكة تدعوا لهم بالسلامة، وأن يكونوا من أهل الجنة يوم القيامة، قال ﷺ: **"من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله، ناداه مناد، بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا"**(٣).

وقال ﷺ: **"إن حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم نور، ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء، فقالوا: انعتهم لنا يا رسول الله، قال: هم المتحابون في الله، والمتآخون في الله، والمتزاورون في الله"** (٤).

٤- إنها من أفضل الأعمال والقربات، التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وهي دليل على صدق الإيمان، وقد سئل النبي ﷺ: عن أفضل الإيمان؟ فقال: **"أن تحب لله،**

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٨٠٦) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٦٧) عن أبي هريرة ﷺ.
(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٠٠٨) حسن غريب، عن أبي هريرة ﷺ.
(٤) الحديث ذكره الإمام العراقي في تخريجه للإحياء وقال رجاله ثقات ١٩٨/٢ عن أبي هريرة ﷺ.

وتبغض لله" ثم قيل: وماذا يا رسول الله؟ فقال: **"وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك"** (١).

٥- إنهم مغفورو الذنوب، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: **"إذا التقى المسلمان فتصافحا، تحاتت ذنوبهم من بين أيديهما، كما تساقط عن الشجرة ورقها، في الليلة شديدة الهواء"** (٢). فالأخوة الإسلامية لها فضائل كثيرة، ونعم عظيمة، لا يؤتى هذه النعم إلا من وفقه الله ﷻ إلى هذه النعمة الكبرى.

❁❁❁

٣- شروطها وحقوقها:

١- أن تكون في الله، ومن أجل مرضاة الله، لا لمنفعة، ولا لمصلحة، ولا لهدف دنيوي، وإنما تكون الغاية منها مرضاة الله أولا وأخيرا، وتقوية البناء الداخلي للأمة الإسلامية، للوقوف أمام الغزو الفكري والعسكري، الذي يستهدف عقيدة الأمة ودينها، قال ﷺ: **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"** (٣).

---

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٨٥/٤ قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، عن معاذ ابن جبل ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام العراقي وقال إسناده ضعيف ٢٥٥/٢ عن البراء بن عازب ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

٢- أن تكون متعاونة في السراء والضراء، والمنشط والمكره، واليسر والعسر، فقد طلب موسى عليه السلام من ربه عز وجل أن يقويه في تبليغ الرسالة، بأن يرسل معه أخاه هارون، ليعينه على أداء الأمانة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾[٢].

والنبي ﷺ قال: **"ما نفعنى مال أحد قط، ما نفعنى مال أبي بكر"** [٣].

وقال ﷺ: **"مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ، ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ"** [٤].

٣- أن تعطيه الحقوق العامة في الإسلام على الأقل، كما جاء في الحديث قال ﷺ: **"حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيه سلم عليه، وإذا عطس أن يشتمه، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يشيعه، وإذا أقسم عليه أن يبره، وإذا دعاه أن يجبه"** [٥].

❁❁❁

(١) سورة طه الآيات (٢٩-٣٥).
(٢) سورة المائدة الآية (٢).
(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٣٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.
(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢١٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- نماذج تطبيقية للأخوة:

١- إن أول نموذج يتبادر إلى ذهن المسلم في الأخوة العملية، إنما هو ما فعله النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وبين الأوس والخزرج، فكان ﷺيمسك بيد الاثنين أحدهما من المهاجرين، والآخر من الأنصار، ويقول لهم: **"تآخو في الله اثنين اثنين"**.

فآخى النبي ﷺ بين سعد بن الربيع، وعبد الرحمن بن عوف، فعرض سعد على عبد الرحمن أن يشاطره نصف ماله، ويعطيه أحد بيتيه، ويطلق إحدى زوجاته، وبعد عدتها يتزوجها عبد الرحمن، فهذا الكرم من الأنصار، قابله عفة من المهاجرين، حيث قال له عبد الرحمن: ابق عليك مالك وبيتك وزوجك، ودلنى على السوق، واقترض منه عدة دراهم ليتجر بها، وفتح الله عليه أبواب الرزق، وكان بعد ذلك من أثرياء الصحابة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

ووطبق ذلك الصحابة عمليا في حياتهم العامة والخاصة، فاستحقوا أن يمدحم النبي ﷺ بصنيعهم، وفي الحديث قال ﷺ: **"إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إذا أَرْمَلُوا في الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ**

(١) سورة الحشر الآيتان (٨-٩).

طَعامُ عِيالِهِمْ بالمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بيْنَهُمْ في إناءٍ واحِدٍ بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ"(١).

٢ - حينما أسر المسلمون سبعين رجلا من المشركين في بدر، وقع عزيز أخو مصعب بن عمير في الأسر، فرآه مصعب، فقال لأخيه المسلم: (اشدد على أسيرك، واطلب منه ما شئت من المال، فإن أمه ذات مال، فقال عزيز: أهكذا وصاتك بأخيك؟ فقال: لست بأخى، إنما هذا- وأشار إلى المسلم- هو أخى دونك).

فنلاحظ هنا أن أخوة الدين أقوى من أخوة النسب، والدم، والقرابة، خاصة إذا اختلفت العقيدة والدين.

٣- أهدى أحد أصحاب رسول الله ﷺ أحد إخوانه رأس شاة، فبعثه الأخ إلى ثان، وبعثه الثانى إلى ثالث، حتى عاد إلى الأول، بعد أن تداوله سبعة من الصحابة الكرام.

٤- كان على مسروق دين ثقيل، وكان على أخيه خيثمة دين، فذهب مسروق فقضى دين خيثمة، وهو لا يعلم، وذهب خيثمة وقضى دين مسروق، وهو لا يعلم.

ووردت هذه القصة في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني قال:

(كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة يغني، فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته، ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه. وكان كثيراً ما يغني:

أضاعوني وأي فتًى أضاعوا ∴ ليوم كريهةٍ وسِداد ثَغْر.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٤٨٦) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فلقيه العسس ليلةً فأخذوه وحبس، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عنه من غدٍ فأخبِر، فركب إلى عيسى بن موسى فقال له: إن لي جارًا أخذه عسسك البارحة فحبس، وما علمت منه إلا خيرًا. فقال عيسى: سلموا إلى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة، فأطلقوا جميعًا. فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة، وقال له سرًا: ألست كنت تغني يا فتىً كل ليلة: أضاعوني واي فتىً أضاعوا ؟

فهل أضعناك؟ قال: لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك!. قال: فعد إلى ما كنت تغنيه، فإني كنت آنس به، ولم أر به باسًا. قال: أفعل).

هذه نماذج مختصرة، يقف وراءها مئات الأمثلة الراقية، في القديم والحديث، وهي تضرب أعظم نماذج لأفضل رابطة جمعت بين أناس مختلفين، في الشكل، واللون، والجنس، واللسان، والبلد، وحدت بينهم رابطة الإسلام، والعقيدة، والأخوة الإسلامية الصادقة، وسيبقى المسلمون قادرين على ذلك، ما ظلت هذه الروح تسري في دمائهم، وتجري في عروقهم، وتمتزج بأرواحهم وقلوبهم.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المتآخين في الله، وأن يجمع المسلمين جميعا إخوانا متحابين، وأن يديم علينا نعمه الأخوة في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(٤٥) معية الله سلاح المؤمن.

١-أهمية استشعار المعية الإلهية.

٢-المعية في حياة الأنبياء والمرسلين.

٣-أثر استشعار المعية في النصر والتمكين.

❁❁❁

١- أهمية استشعار المعية الإلهية:

من الوسائل الهامة في إصلاح الفرد المسلم؛ حتى يكون لبنة صالحة في بناء المجتمع، استشعاره لمعية الله ﷻ فهو منذ إدراكه للحياة وما فيها، يستشعر معية الله ﷻ في جميع أمور حياته.

وهي معية عامة، يستشعرها جميع المسلمين، وذلك حينما يقرؤوا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[1].

إن المسلم حينما يستشعر هذه المعية يحفظ جوارحه كلها، من عينه، ولسانه، ويده، ورجله، وفرجه، وبطنه، فالمعية تدفعه إلى المراقبة الدائمة لله ﷻ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

---

(١) سورة المجادلة الآية (٧).

(٢) سورة النساء الآية (١).

وهذه المعية واستشعار المراقبة لله ﷻ هي التي علمها لقمان عليه السلام لولده، وهو يربيه على العقيدة الصادقة، حين قال له كما حكى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[١].

❁❁❁

٢- المعية في حياة الأنبياء والمرسلين:

لقد استشعر الأنبياء جميعا معية الله ﷻ في كل لحظة من لحظات حياتهم، ومن ثم جاءهم العون والمدد الإلهي في لحظات الضيق والكروب.

فهذا إبراهيم عليه السلام حينما واجه قومه بما كانوا عليه من ضلال وانحراف، قاموا بإلقائه في النار للخلاص منه، ليكون عظة وعبرة لغيره، فماذا كانت النتيجة؟ كانت المعية الإلهية تلحظه وترعاه، وتنقذه مما أعد له المجرمون.

وإذا العناية لاحظتك عيونها ∴ نم فالمخاوف كلهن أمان.

فتحولت النار الحارقة إلى نار لاتحرق، ونزع الله منها أخص خصائصها، بل حولها إلى رحمة وأمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٢].

وهذا لوط عليه السلام حينما نهي قومه عن الحرام والشذوذ والفاحشة، فلم ينتهوا عن إجرامهم، بل إنهم هددوه وتوعدوه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة لقمان الآية (١٦).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٦٩).

(٣) سورة الشعراء الآية (١٦٧).

وماذا كانت النتيجة...؟ نجاه الله من مكرهم، ودمر القرية عن آخرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ ﴾[1].

إن استشعار لوط عليه السلام للمعية الإلهية، أهلته لأن تدركه العناية الربانية، في إنقاذه مما يخطط له من إخراج من بيته وقريته.

وهذا موسى عليه السلام واجه فرعون رغم قوته وسطوته، ورغم كبره واستعلائه، وطلب منه أن يرسل معه بنى إسرائيل، ليخرجهم من الاستعباد والقهر، إلى الحرية وعبادة الله عز وجل فرفض فرعون، وخرج بجيشه خلف موسى ومن تبعه، فوقع موسى بين شقى الرحى، البحر أمامه، وفرعون وراءه، حينئذ أدرك بنو إسرائيل أن الهلاك واقع بهم لامحالة، فقالوا كما حكى القرآن الكريم: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2]. لكن موسى عليه السلام كان واثقا من النجاة لا محالة، لاستشعاره معية الله عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[3].

فنسب موسى عليه السلام معية الله إلى نفسه، لأنه كان واثقا منها، أما قومه فلم يكن لديهم الإيمان القوى الذي يجعلهم يستشعرون معية الله، وعنايته لهم، ولذلك قال موسى عليه السلام: (معى) وليس (معنا) وجاءت العناية الإلهية بالحل المباشر السريع في

(١) سورة الشعراء الآيات (١٦٨-١٧٤).
(٢) سورة الشعراء الآية (٦١).
(٣) سورة الشعراء الآية (٦٢).

الحال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[١].

وأما خاتم النبيين ﷺ فكانت عناية الله تحرسه وترعاه قبل البعثة وبعدها، فكان أعلم الناس بالله، وأتقاهم لله، وأكثرهم استشعارا لمعيته، أليس هو القائل ﷺ في الحديث الشريف عن الإحسان: **"أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"** [٢].

فاستشعار المعية كان سمة بارزة في شئون حياته كلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[٣].

ومن كانت عناية الله ترعاه، كان لابد أن تحرسه في كل خطاه، وظهر ذلك واضحا في الهجرة النبوية الشريفة، حيث أخذ بجميع الأسباب المتاحة، واستفرغ الوسع والجهد في التخطيط والتنفيذ، ولما وصل المشركون إلى الغار، وأحس الصديق بخطاهم فوق رأسه، وقال يارسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له النبي ﷺ بلسان الواثق من نصر الله والمتيقن من عطائه في ساعة الشدة: **"يا أبا بكر، ماظنك باثنين الله ثالثهما، يا أبا بكر، لا تحزن إن الله معنا"** [٤].

---

(١) سورة الشعراء الآيات (٦٣-٦٧).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الطور الآية (٤٨).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٦٦٣) عن أبي بكر رضي الله عنه.

فعلى المسلم أن يبذل كل ما في وسعه، من جهد وتعب ومشقة، ويترك أموره كلها بعد ذلك على الله ﷻ مستشعرا أن معية الله تحفظه وترعاه.

وفي الحديث قال ﷺ: **"احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سأَلت فاسأَل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أَن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"** (١).

❁❁❁

٣-أثر إستشعار المعية:

كثيرا ما يصادف الإنسان منا في هذه الحياة مواقف كثيرة، من ضيق وكربات، ومحن وأزمات، ويبحث المرء عن متنفس لها، أو ينتظر انفراجا لها، وهو يعلم أن كشف هذه الكروب، لا يكون إلا باللجوء إلى الله ﷻ.

ياصاحب الهم إن الهم منفرج ∴ أبشر بخير فان الفارج الله

إذا بليت فثق بالله وارض به ∴ إن الذي يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ∴ لاتيأسن فإن الفارج الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة ∴ لاتجزعن فان الكافي الله

والله مالك غير الله من أحد ∴ فحسبك الله في كل لك الله

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٦) وقال حديث صحيح، عن ابن عباس ﷺ.

كثيرا ما ننسى معية الله في زحمة الحياة، وننسى أن رحمة الله قريب من المحسنين، فلا بد أن نكون على مستوى هذه الدرجة من الإيمان، والتقوى، والإحسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[١].

١- **الطمأنينة**: فكل من استشعر معية الله ﷻ أثر ذلك عليه طمأنينة وسكينة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢].

فمن ذكر الله ﷻ كان معه، ومن كان الله معه توفرت له أسباب الحياة الحقيقية، فالذكر حياة القلوب، وطمأنينة النفوس، قال ﷺ: **"مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، كمثل الحى والميت"** [٣].

٢- **حصول الرعاية واللطف من الله للعبد**:

فكم يشقى كثير من البشر ببعدهم عن الله ﷻ وعن الإيمان به، ومن هنا فلا يبالى الله ﷻ بالكافر في أى واد هلك، فيقول الله ﷻ في الحديث القدسى: **"أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى"** [٤].

فالرعاية واللطف من الله للعبد الموصول به، الذي يلهج اللسان بذكره، وينبض القلب بشكره، وتسبح الروح بحمده. ومن تعرف الى الله ﷻ في الرخاء، عرفه الله

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٨).

(٢) سورة الرعد الآية (٢٨).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٠٧) عن أبي موسى الأشعرى ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٤٠٥) عن أبي هريرة ﷺ.

في الشدة، بالرعاية والعون واللطف والفرج القريب،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (١).

٣-النصر المبهر:

قد لا يستغرب أحد حدوث النصر في ميدان ما، إذا ماتوافرت شروطه ومفرداته، ولكن حدوثه دون وجود أسباب مادية، اللهم إلا التوكل على الله، واستشعار معيته، واطلاعه على عباده بتثبيته وتأييده، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾(٣).

وفي النهاية إن استحضار معية الله دائما في كل وقت وحين، سبب رئيسي لارتياح النفس، وطمأنينة القلب، وتيسير الأمور، وإزالة الهموم والغموم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٤).

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا معيته وتثبيته، وحمايته وتأييده ونصره.إنه على كل شيء قدير.

❁❁❁

(١) سورة النمل الآية (٦٢).
(٢) سورة الروم الآية (٤٧).
(٣) سورة غافر الآية (٥١).
(٤) سورة النحل الآية (١٢٨).

(٤٦) مكانة القرآن الكريم.

١- القرآن كتاب هداية.

٢- القرآن كتاب نور.

٣- القرآن كتاب حياة.

٤- القرآن كتاب شفاء.

٥- القرآن ضمنه الله ﷻ حلا لجميع مشكلاتنا.

❁❁❁

إظهارا لأهمية القرآن الكريم في حياة الأمة المسلمة، فإن الله ﷻ أمر نبيه والأمة بالتمسك به، لأن فيه عز الأمة، وشرفها، ومجدها، وسؤددها، ونصرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

فلا زالت الأمة قوية الجانب، مهابة من الأعداء، ما دامت متمسكة بالقرآن الكريم، وهدى النبي ﷺ وفي الحديث قال ﷺ:**"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا، كتاب الله وسنتي"** [2].

فحيثما نظرت إلى واقع الأمة المسلمة فى كل مكان وجدت نصرا وتمكينا، وسيادة وعزة، وأمنا وأمانا، ووحدة وائتلافا، وتقدما وفتوحا، فاعلم أن الأمة

---

(١) سورة الزخرف الآيتان (٤٣-٤٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٢١٨) عن عبد الله بن عباس ﷺ.

بخير، وأن سبب ذلك الخير، إنما يكمن فى تمسكها بالرافدين العظيمين من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والعكس بالعكس. فهذه تبصرة لأولى الألباب، وتذكرة لمن كان له قلب حاضر، وأذن واعية، بمكانة القرآن الكريم كما ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه، ليعرف قيمته فيزداد به إيمانا وتمسكا.

❁❁❁

(١) القرآن كتاب هداية:

قال تعالى في مطلع سورة البقرة: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩ ﴾[٢].

فالقرآن الكريم يهدى الحائر والضال، ويهدى إلى الطريق الأقوم، وإلى صراط الله المستقيم، ويأخذ بأيدي الناس إلى مرضاة الخالق، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

وإذا كان البشر يدعون لكتبهم الهداية والرشاد، فإن كتاب الله تعالى هو أهدى سبيلا، وأقوم قيلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٥ ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة الآيتان (١-٢).

(٢) سورة الإسراء الآية (٩).

(٣) سورة يونس الآية (٣٥).

فما إن سمعته الجن حتى شهدوا له هذه الشهادة العالية الغالية، التى لم يشهدها الإنس رغم فصاحتهم وبيانهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ (٢).

إن البشرية في هذه الحياة الدنيا تريد أن تصل إلى الجنة، ولابد لها من دليل ليأخذ بيدها إلى طريقها، ودليلها هو كتاب الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٣).

فالقرآن يهدى الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، والعالم كله إلى الطريق الأقوم، ويقود سفينة البشرية إلى شاطئ الأمان، وبر السلامة، بدلا من تخبطها في المناهج الأرضية، والقوانين الوضعية، والفلسفات البشرية.

❁❁❁

(١) سورة الأحقاف الآيتان (٢٩-٣٠).

(٢) سورة الجن الآيتان (١-٢).

(٣) سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤).

(٢) القرآن كتاب نور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾ [٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ ﴾ [٣]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾ [٤].

فالقرآن كتاب نور، يضئ القلوب والنفوس، ويضئ المساجد والحياة، فهو كشبكة الكهرباء التي تمد المجتمع بالكهرباء، لتضاء المصابيح، في البيوت والشوارع، فإذا أردنا لمصابيح النفوس أن تضاء -وهي القلوب- فلابد أن تتصل بأنوار التنزيل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۖ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾[٥].

قرآننا نور يضئ طريقنـــا ∴ قرآننا نار على من يعتدى.

فهو نور لمن يطلب الهداية والرشاد، ونار على كل معتد أثيم، وكل ختال كفور.

---

(١) سورة إبراهيم الآية (١).
(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٧).
(٣) سورة التغابن الآية (٨).
(٤) سورة الشورى الآية (٥٢).
(٥) سورة النور الآية (٣٥).

إن أصعب شيء على الإنسان، أن يعيش في الظلام، وبين يديه كشاف للإضاءة، ولكنه لا يريد أن تمتد يده إليه، وإذا امتدت فلا يحسن استخدامه، أو الاستفادة منه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾(١).

وأشد ما لقيت من ألم الجوى ∴ قرب الحبيب وما إليه الوصول

∴

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهرها محمول.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾(٢).

ولقد شكا أمير الشعراء شوقي -رحمه الله- الأمة الاسلامية التي تتسول على موائد الشرق والغرب في تلمسها للقوانين الوضعية، ومعها أنوار التنزيل ولا تحسن الاستفادة منها، شكاها إلى رسولها ﷺ فقال:-رحمه الله- مخاطبا النبي ﷺ:

شعوبك في شرق البلاد وغربها ∴ كأصحاب كهف في عميق ثبات

∴

بأيمانهم نوران ذكر وسنة فما بالهم في حالك الظلمات.

❁❁❁

(١) سورة النور الآية (٤٠).

(٢) سورة الجمعة الآية (٥).

(٣) القرآن كتاب حياة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢).

فالقرآن كتاب حياة، جاء ليحيى البشر من موات، ويوقظهم من غفلة، وينبههم من رقدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٣).

فلقد كان الناس قبل بعثته يعيشون فى ضلال مبين، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ (٤).

ضلال واضح فى الاعتقاد والعبادة والأخلاق والمعاملات، فلما جاء الإسلام ودخل الإيمان قلوبهم، وخالط القرآن نفوسهم، حولهم من رعاة غنم إلى قادة أمم، وجعل منهم رجالا عظاما غيروا مجرى التاريخ والأحداث، وفى نصف

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٢).
(٢) سورة الأنفال الآية (٢٤).
(٣) سورة يس الآية (٧٠).
(٤) سورة الجمعة الآية (٢).

قرن من الزمان فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وانتصروا على أكبر قوتين فى النظام العالمى القديم الفرس والروم، حتى قال رستم قائد الفرس لربعى بن عامر الصحابى الجليل من أنتم؟ ومن الذى أخرجكم من جزيرتكم؟. فقال له ربعى بن عامر: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام)(١).

فقوله إن الله ابتعثنا أى أنه أحيانا من موات، وجعلنا دعاة له بعد البعث، لنحى الناس كما أحيانا سبحانه من فضله، ولقد مرت على الأمة الإسلامية نوازل عديدة، ومراحل مد وجزر مرضت الأمة فيها لكنها لم تمت، وغفلت الأمة فيها لكنها لم تنتهى، وانهزمت الأمة فيها لكنها لم تخرج من الحياة، وسبب ذلك كله إنما يكمن فى سر هذا الكتاب الذى كلما تمسكت به أحياها، وأيقظها وأسمعها وأبصرها حتى تتبوأ مكانها ثانية بين الأمم.

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له ∴ وأنت أحييت أجيالا من الرمم.

من كان يصدق أن الأمة المسلمة بعد هزيمتها أمام الصليبيين، وسقوط المسجد الأقصى فى أيديهم أكثر من تسعين عاما، أنها تستيقظ وتنتصر، وتحرر المسجد الأقصى قبل مائة عام، من كان يصدق أن الأمة المسلمة بعد هزيمتها المنكرة

(١) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء للشيخ محمد الخضر حسين صـ٧٦.

أمام التتار فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، حتى قتل خليفة المسلمين فى بغداد، واستولى التتار على عاصمة الخلافة بغداد، وأشاعوا الرعب والفوضى بين المسلمين، وقتلوا من المسلمين أعدادا لا حصر لها، صنعت جماجمهم جبالا شاهقة من كثرتها ؟!.

وكان التتار يرفعون شعاراتهم التى تقذف الوهن فى قلوب المسلمين، فكانوا يقولون: نحن الذين نقتل العباد، ونخرب البلاد، ولا يقف لنا أحد بالمرصاد، ويقولون: إذا قيل لك إن التتار قد انهزم فلا تصدق، واستولوا على بلاد الشام كلها وكانوا قادمين إلى مصرنا آخر قلعة من قلاع الإسلام، والتى لو سقطت فى أيديهم لم يقم بعدها للإسلام قائمة.

فما الذى غير مجرى التاريخ، ومسيرة التتار؟ قيض الله للإسلام قائدا ربانيا من أهل القرآن فأحيا به الرعية، وقادها إلى النصر فى معركة حاسمة مشهورة (عين جالوت) وكان شعار ذلك البطل المظفر (قطز) "وا إسلاماه" أي أن الإسلام فى خطر، فهل من مغيث، وهل من مجيب، واستجاب له رجاله، وكتب الله لهم النصر والتمكين بعد ما نصروا الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ (١).

(١) سورة محمد الآية (٧).

ومن الأمثلة المعاصرة التي تدل على أن القرآن الكريم يحيى الأمة من موات، ويبعث فيها الحياة، معركة العاشر من رمضان، السادس من أكتوبر، ففي هذه المعركة، عادت الأمة كلها إلى الله ﷻ القادة والجند والشعب، حيث كان المسلمون في مساجدهم يجأرون إلى الله بالدعاء في صلواتهم، وخاصة صلاة القيام في رمضان، وكان الجنود والضباط يرفعون أصواتهم بالتكبير، وهم في ميدان المعركة، فلاحت بوادر النصر، قبل العصر، لأن منزل هذا النصر ومدبره إنما هو الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

❁❁❁

(٤) القرآن شفاء لما في الصدور:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٢٣).
(٢) سورة الأنفال الآية (١٧).
(٣) سورة الإسراء الآية (٨٢).
(٤) سورة يونس الآية (٥٧).

ومما يدل على أن القرآن شفاء للأمراض الحسية ما جاء فى السنة النبوية المطهرة فى قصة الصحابة الذين كانوا فى سفر فمروا على قرية فطلبوا أن يضيفوهم فأبوا، ثم لحق بهم رجل من القوم وقال إن سيد القوم لديغ، فهل منكم من يحسن الرقية؟ فقال أحد الصحابة نعم، بشرط أن تجعلوا لنا جعلا، وصالحوهم على قطيع من الغنم، وذهب الصحابي ورقى الرجل المريض بسورة الفاتحة، فنشط من عقال، فكأنه كان مربوطا ثم انفك، وقام يمشى على الأرض ما به وجع ولا مرض، وساق الصحابة قطيع الغنم، وقبل أن يقتسموا هذه الأغنام رفعوا الأمر إلى النبى ﷺ فأقرهم على هذا الصنيع، وقال لذلك الصحابى: **"ومن أعلمك أنها شافيه اقتسموا هذه الأغنام واجعلوا لى معكم فيها نصيبا"**(١).

ومن أسماء سورة الفاتحة الشافية والكافية والسبع المثانى وأم الكتاب.

فالقرآن شفاء لأمراض النفس، وأمراض الفرد، والمجتمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾(٢).

وفي الحقيقة ما وجدنا قارئا، أو حافظا للقرآن الكريم، مؤمنا بأنه شفاء لما في الصدور، وقد أصيب بمرض نفسي، أو يشعر بالضيق أو التبرم من الحياة، ذلك لأن

(١) القصة أوردها الإمام البخارى فى الإجارة (٢٢٧٦).
(٢) سورة الأنعام الآية (١٢٥).

القرآن يشرح الله به الصدر، ويطمئن به القلب، ويضئ به النفس، ويكسب القارئ إيمانا قويا، يعصمه من الضعف والانهيار، في مواقف الشدة والابتلاء.

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (من واظب على هدى النبي ﷺ في طعامه وشرابه، ويقظته ومنامه، لم يصبه مرض إلا مرض الموت، أو مرض كتبه الله عليه)(١).

فمن اتبع تعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية، حفظه الله من الأمراض، وحفظ أعضاءه سليمة، ومتعه الله بالعافية، وشعر بسعادة داخلية في نفسه وقلبه وروحه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٢).

كما عبر عنها إبراهيم بن أدهم رحمه الله حينما قال: (نحن فى سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف)(٣).

ومن العجيب والغريب الذى نشاهده فى حياتنا، أن عقل صاحب القرآن فى كبره لا يهرم ولا يضعف، مثل غيره من الناس، لأن عقله وعاء للقرآن، وقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه، ومن أمور حفظ الله لكتابه حفظ وسائله التى هى عقول حفظة القرآن الكريم، فخالف السنة العامة التى مضت على كل الناس إلا صاحب

---

(١) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن قيم الجوزية، بمعناه.

(٢) سورة النحل الآية (٩٧).

(٣) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالى جـ٤. وانظر حلية الأولياء ٧/ ٣٧٠.

القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١).

وهذا من أكبر نعم الله على عقول حفظة القرآن الكريم أن حفظها من التخريق لأن عصمها بالقرآن عن ذلك.

❁❁❁

(٥) القرآن ضمنه الله ﷻ حلا لجميع مشكلاتنا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾(٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴿٣٨﴾ ﴾(٣).

فلقد استوعب القرآن الكريم الحياة طولا وعرضا وعمقا، فما من مشكلة إلا ونجد لها حلا في القرآن الكريم، أو سنة النبي ﷺ ومصادر التشريع الإسلامي، التي استنبطها العلماء، في ضوء المرجعية العليا من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال: (إن الله لو أغفل شيئا؛ لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أنزل في هذا القرآن، علم كل شيء، وبين لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصّر عما بين لنا في القرآن).

---

(١) سورة الروم الآية (٥٤).
(٢) سورة النحل الآية (٨٩).
(٣) سورة الأنعام الآية (٣٨).

وقال ابن عباس: (لو ضاع لي عقال بعير، لوجدته في كتاب الله ﷻ (١).

وقال الشافعي -رحمه الله- مرة في مكة قال: (سلوني عما شئتم، أخبركم عنه في كتاب الله). فليس في الوجود كله كتاب يحوى هذه الخصائص، وتلك المزايا، حتى يضع لجميع المشكلات حلا جذريا، مثل القرآن الكريم، بل في ظل تطبيق أحكامه وتعاليمه لا توجد مشكلة أصلا، فيا ليت قومي يعلمون قيمة هذا الكتاب، ومنزلته ومكانته، فهو أقوى سلاح، وأمضى سلاح، فإذا أخذت به أمتنا قادها إلى الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

فالقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، ومعجزته الباقية إلى قيام الساعة، وكفي أن الله ﷻ أوكل حفظه إلى نفسه ﷻ فلم يدخله تغيير أو تبديل، أو يصبه نقص وتحريف. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٣).

وهناك فرق بين حفظ الله وحفظ البشر، وبين ما يصنعه البشر، وبين ما هو من عند خالق القوى والقدر، وإن ما بينهما شتان شتانا.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته،

❁❁❁

(١) انظر روح المعانى، للألوسي، دار الكتب العلمية بيروت، ٩٨/١٤.

(٢) سورة الحجر الآية (٩).

(٣) سورة فصلت الآية (٤٢).

(٤٧) واجبنا نحو القرآن الكريم.

١- الإيمان القوى بأن صلاح الأمة في اتباع القرآن والسنة.

٢- قراءته وتلاوته.

٣- تدبر آياته.

٤- العمل به على مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع.

❁❁❁

الواجب الأول:

الإيمان القوى بأن صلاح الأمة في اتباع القرآن والسنة:

إن أول واجب يجب على كل مسلم نحو القرآن الكريم، هو أن يؤمن به إيمانا قويا من قلبه، عميقا من نفسه، تزول الجبال الرواسي، ولا يتزعزع هذا الإيمان من قلبه قيد أنملة، إن صلاح الأمة في اتباع القرآن والسنة.

وفي الحديث قال ﷺ: **" إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين "**[١].

فالقرآن الكريم فيه عز الأمة وسعادتها وشرفها ومجدها، وهذا يدفعنا إلى أن نزداد إيمانا ويقينا به، واستمساكا بتعاليمه، وتطبيقا لأحكامه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨١٧). عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) سورة الزخرف الآيتان (٤٣ -٤٤).

وقد أعلنها سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قديما حين قال: (إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله)[١].

إنه يرفع من آمن به، ويضع من أعرض وصد عنه، لقد رفع الصحابة حينما أقبلوا عليه، وخفض المشركين حينما أعرضوا عنه.

فما دامت الأمة لديها هذا الإيمان القوى بأهمية القرآن ودوره فى إصلاح الفرد والمجتمع، وقيادة البشرية والعالم أجمع إلى شاطئ الإحسان وبر السلامة، فتبقى عوامل القوة باقية فى نفوسها، راسخة فى قلوبها، ويرفعها الله فوق الأمم إلى قيام الساعة ما دامت مؤمنة به، متمسكة بتعاليمه. وقد قال ﷺ: **"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى"**(٢). فلن تضل الأمة، ولن تضل، ما دامت متمسكة بالرافدين العظمين الذين هما سر القوة والنصر والتمكين.

الواجب الثاني:

قراءته وتلاوته: أن نتخذ هذا القرآن أنيسا لنا في مجالسنا، ومساجدنا، وبيوتنا، فلا يمر يوم من أيام حياتنا إلا ونتصل بالقرآن الكريم، تلاوة، وقراءة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾[٣].

---

(١) ذكره الحاكم في المستدرك ٨٢/٣. صحيح على شرط الشيخين، عن طارق بن شهاب ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى الحج (١٢١٨).

(٣) سورة المزمل الآية (٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

وفي الحديث يقول ﷺ: **"اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه"**[2].

وفي الحديث يقول ﷺ: **"يقال لصاحب القرآن يوم القيامة، اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها"** [3]. وفي الحديث يقول ﷺ: **"إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، كالبيت الخرب"**[4].

فمن منا يرضي لنفسه أن يكون صدره كالبيت الخرب، الذي تعشش فيه الحيوانات الضالة، وشياطين الجن، إنه خراب وظلام، حينما يكون خاليا من أنوار القرآن الكريم.

وفى سنن أبى داود قوله :ﷺ **"من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذى عمل بهذا"**(٥).

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨٠٤). عن أبى أمامة الباهلي ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٩١٤) وقال حسن صحيح، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٩١٣) وقال حسن صحيح، عن عبد الله بن عباس ﷺ.

(٥) الحديث أخرجه الإمام أبو داود فى ثواب قراءة القرآن ٣٦٦/١. قال ابن حجر العسقلاني، في تخريج مشكاة المصابيح، حديث حسن كما قال في المقدمة. عن معاذ بن أنس ﷺ.

وقال ﷺ : **"من قرأ آية من كتاب الله فله بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع لها كانت له نورا يوم القيامة"**(١).

فآيات القرآن الكريم وأحاديث النبى الأمين ﷺ بينت أهمية التلاوة، وفضل القراءة، والثواب العظيم، والأجر الجزيل الذى يترتب على ذلك فى الدنيا والآخرة، فالقرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة فى عرصات الموقف وعقباته، ويدخله الجنة، ويرفعه إلى أعلى الدرجات، على قدر تلاوته وحفظه، ويتعدى نفعه إلى الوالدين، لأنهما سبب فى توجيه الولد للحفظ وصبرهما على تعليمه، وإنفاقهما من الأموال الكثيرة، فكانت العاقبة الحسنة بأن يلبسهما الله تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا.

ناهيك عن الثواب المضاعف لا لكل آية، بل لكل حرف، فالحرف بعشر حسنات، وربك يضاعف لمن يشاء، فهذه فرصة لا ينبغى لعاقل أن يضيعها وإلا كان صدره كالبيت الخرب، وفى الحديث قوله ﷺ : **" إن الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب"**(٢).

الواجب الثالث:

التدبر لآي القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾(٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسند المكثرين (٨١٣٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذى فى فضائل القرآن (٢٩١٣) حسن صحيح. عن عبدالله بن عباس

(٣) سورة النساء الآية (٨٢).

فالذى يحجب القلوب عن التدبر إنما هو الصدأ الذى يعلوا القلوب، فيحول بينها وبين فهم آى القرآن ومقاصده، ولو تدبرت قلوبنا القرآن فلن تجد فيه سوى الإيمان والهدى والرشاد، وأما الخلاف والاختلاف فهذا من شأن كتب البشر، وشتان بين كتب البشر وكتاب رب القويوالقدر، سبحانه وتعالى.

والتدبر يؤثر فى ورقة القلب، ودمعة العين، وذلك من الأسباب التى تؤدى إلى جنة الله ورضوانه، وفى موقف النبى ﷺ مع ابن مسعود شاهد على ذلك حيث قال له النبى ﷺ حينما لقيه:**"اقرأ علىّ القرآن، فقال أأقرؤه عليك وعليك أنزل يا رسول الله، فقال ﷺ إنى أحب أن أسمعه من غيرى،** فيقرأ ابن مسعود من أول سورة النساء إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (١). **فقال ﷺ حسبك يا بن مسعود، وينظر ابن مسعود إلى النبى ﷺ فإذا عيناه تزرفان بالدمع"**(٢).

لقد خشع القلب من التدبر، فدمعت العين من التأثر، ولو فعل كل مسلم ذلك لنجا من عذاب الله يوم القيامة كما قال ﷺ : **"عينان لا تمسهما النار يوم القيامة عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله"**(٣).

(١) سورة النساء الآية (٤١).
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري فى تفسير القرآن (٤٥٨٢).
(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي فى فضائل الجهاد (١٦٣٩).

وفى الحديث : " **ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**"(١). وفى الحديث:"**إن هذا القرآن نزل بحزن، فإن قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**"(٢).

فالتدبر لآي القرآن الكريم، يعين على الفهم، والتفطن لمقاصد الله ﷻ حتى تعي العقول والقلوب عن الحق ﷻ مراده، فتتأثر به، وتلين الجلود، وتخشع القلوب، وتنطلق إلى العمل الصالح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾(٣). وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾(٥).

إن طريق الخشوع والخضوع إنما هو التدبر، إن الحجارة الصماء، والجبال الشماء، والصخور الجمادات البكماء، لو نزل عليها هذا القرآن لتهدمت وتصدعت من خشية الله –عز وجل– قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٦).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى الرقاق (٦٤٧٩).

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة فى الصلاة (١٣٣٧).

(٣) سورة ص الآية (٢٩).

(٤) سورة الحجر الآية (٧٥).

(٥) سورة الزمر الآية (٢٣).

(٦) سورة الحشرالآية (٢١).

ولئن يقرأ الإنسان آية واحدة طوال الليل ويكررها ويرددها ويتدبرها، خير له من أن يقرأ جزءا من القرآن، فعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ بآية يرددها وهى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (١).

وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢). وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٣).

إن كل مسلم لو قرأ القرآن وتدبر معانيه ووقف مع مقاصده ومراميه لتغير حال المسلمين جميعا، وما أجمل تلك الوصية التى قالها والد الشاعر الفيلسوف المسلم محمد إقبال حينا رآه يقرأ القرآن كل يوم فقال له يابني: (اقرأ القرآن وكأنه عليك أنزل) فلما عمل بوصية والده أثمر القرآن فى نفسه، وكان صاحب نهضة عظيمة، ترتب عليها قيام دولة باكستان المسلمة.

❁❁❁

(١) سورة المائدة الآية (١١٨).
(٢) سورة الجاثية الآية (٢١).
(٣) سورة يس الآية (٥٩).

الواجب الرابع: العمل بالقرآن الكريم، على مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع:

في القرآن الكريم آيات تخاطب الفرد، وآيات تخاطب الأسرة، وآيات تخاطب المجتمع، فكل مطالب حسب مسئوليته، فالفرد غير المتزوج مطالب بتطبيق القرآن الكريم على نفسه، في الفرائض، والعبادات، ومعرفة الحلال والحرام، والتخلق بأخلاق القرآن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[٢].

فكل إنسان مسئول عن نفسه أمام الله يوم القيامة بمفرده، وهذا يتطلب من المسلم أن يعرف واجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو الآخرين وكل ذلك واضح فى آى القرآن الكريم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وهناك آيات تخاطب الأسرة، من خلال ولى أمرها، حيث إنه هو المسئول عنها، في كل شيء قال ﷺ: **"كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته"** [٣].

فعلى الزوج تقع المسئولية الكبرى تجاه زوجته وأولاده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴿٦﴾ ﴾[٤].

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٣٣).

(٢) سورة مريم الآية (٩٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٥٥٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) سورة التحريم الآية (٦).

إن أكبر خسارة يقع فيها الإنسان يوم القيامة، أن يخسر نفسه وأسرته، ومن يعول من أقاربه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾(١).

من هنا كان الزوج مسئولا عن عبادة زوجته فى صلاتها وصيامها وحجابها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾(٢).

فإذا لم تصل الزوجة فالمسئول عن ذلك هو الزوج، وإذا نفذ صبره تجاه إصلاحها فعليه أن يتصابر حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا، وحينما تخرج الزوجة متبرجة سافرة مخالفة أمر القرآن الكريم فإن المسئول عن ذلك هو الزوج والأب لأن ذلك يقع تحت رعايته وهو المسئول عنها،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (٣). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴿٣١﴾ ﴾ (٤).

إن الشوارع والطرقات والمواصلات التى تزدحم بصور التبرج المشين اليوم يلق باللوم والتبعة على أولياء الأمور فى كونهم لا يقومون بواجبهم نحو أهليهم، فلابد أن يستشعروا هذه المسئولية كاملة لينقذوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة.

---

(١) سورة الزمر الآية (١٥).
(٢) سورة طه الآية (١٣٢).
(٣) سورة الأحزاب الآية (٥٩).
(٤) سورة النور الآية (٣١).

وفى الحديث قال ﷺ: **"إن الله سائل كل راع عما استرعى حفظ أم ضيع"**([1]).

ومسئولية الأب تجاه الأولاد فى التربية والرعاية والمحافظة على آخرتهم قضية خطيرة ليست من نافلة العمل، وفى الحديث قال ﷺ: " مُروا أَولادَكُم بِالصَّلاةِ وهُم أَبناءُ سبعِ سِنينَ، واضْرِبوهنَّ عَليها وهُم أَبناءُ عَشرٍ، وفَرِّقوا بَينَهُم في المَضاجِعِ. "([2]).

فإذا قصر الأولاد فى الصلاة كان المسئول الأب وهذا يتطلب الرعاية الدائمة والتربية المستمرة والملاحظة الدقيقة لجميع تصرفات الأولاد، وتعليمهم أدب الاستئذان عند الدخول، السلام، والغض من الإبصار، وحفظ الجوارح والأعضاء من الذنوب والمعاصى والموبقات.

كما أن في القرآن الكريم آيات تخاطب الحاكم، وولي الأمر، في أحكام هو المسؤول عنها أمام الله، مثل تطبيق أحكام الشريعة في المعاملات، والأحوال الشخصية، والحدود، وغير ذلك، فيجب على ولي الأمر اتخاذ التدابير التي تعمل على تطبيقها، لأنه هو المسؤول عنها أولا وأخير أمام الله ﷻ.

وأما العمل بالقرآن على مستوى المجتمع فتلك مسئولية الحاكم والدولة مثل تطبيق الحدود، والجهاد لرفع راية التوحيد، والدفاع عن المقدسات، فواجب

---

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١٠٩/٣ إسناده صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) الحديث ذكره الإمام النووي في المجموع ١٠/٣ إسناده إسناده حسن، عن جد عمرو بن شعيب وهو عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

المجتمع المطالبة بتطبيق الأحكام وتبقى المسئولية أمام الله فى أعناق الحكام يوم القيامة.

وقال العلماء: إن الحدود زواجر وجوابر، فهى تزجر ضعاف النفوس الذين لديهم استعداد للوقوع فى الحرام.وتجبر الذنب عمن وقع فيه من الناس، فهى مصلحة للمجتمع، ولن يستقيم أمره، ولن تحل مشكلاته، إلا إذا كانت الكلمة للقرآن فى كل أمور الحياة. قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ ﴾ (١).

وقد اعترض قديما أحد الناس على حكم الشريعة الإسلامية، واتهمها بأنها جائرة حينما تأمر بقطع يد السارق فى ربع دينار، وتجعل الدية لمن قطعت يده خمسمائة دينار فقال:يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت فى ربع دينار.

فرد عليه أحد العلماء وقال:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ∴ ذل الخيانة فافهم حكمة البارى.

أى لما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت، فحينما نحافظ على أموال الآخرين تكون الأيدى غالية أمام من اعتدى عليها، وحينما تخون الأيدى الأمانة وتمتد إلى السرقة والاختلاس تكون رخيصة وهذا تشريع الحكيم الخبير، الذى يعلم خبايا النفوس، وخطرات العقول، ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء

(١) سورة المائدة الآية (٤٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (١).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه.

فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه يتفكر، حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن)(٢).

وقال الإمام محمد رشيد رضا-رحمه الله-: (واعلم أن قوة الدين وكماله الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه) (٣).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، ومن العاملين به في كل أمور حياتهم الدنيوية.

❁❁❁

---

(١) سورة الملك الآية (١٤).

(٢) مفتاح دار السعادة صـ٢٠٤.

(٣) مختصر تفسير المنار ١٧٠/٣.

(٤٨) من آثار الذنوب والمعاصي على الفرد والمجتمع (١).

١- موت القلب.

٢- حرمان الطاعة.

٣- حرمان الرزق والعلم والتوفيق الإلهي.

٤- نزول البلاء والعذاب من الله على الناس.

❁❁❁

١- موت القلب:

الذنوب والمعاصي تضر القلب، وتؤدي إلى موته، فهي سموم قاتلة، فكما أن السم يميت البدن، فكذلك الذنوب والمعاصي تميت القلب وتدمر الإيمان.

فالذنوب إذا تكاثرت طبعت على قلب صاحبها، فكان من الغافلين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢).

قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ∴ وقد يورث الذل إدمانها.

∴

وترك الذنوب حياة القلوب فخير لنفسك عصيانها.

---

(١) هذه الموضوع مستفادة من كتاب الداء والدواء للإمام ابن القيم -رحمه الله-.

(٢) سورة المطففين الآية (١٤).

وفي الحديث أنه ﷺ قال: **"إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله، قَالَ تَعَالَى:** ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (١).

وفي الحديث أنه ﷺ قال: **"إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على العبد حتى يهلكنه"** (٢).

وابن عباس ﷺ يقول: (إن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، وقلة في الرزق، وبغضا في قلوب الناس).

وأنس ﷺ يقول: (إنكم لتعملون أعمالا هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات) (٣).

وأبو الدرداء ﷺ يقول: (ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، قيل له كيف؟ قال إن العبد يخلو بمعاصي الله، فيلقى الله بغضه في قلوب المؤمنين، من حيث لا يشعر).

وسليمان التيمي ﷺ يقول: (إن الرجل ليصيب الذنب في السر، فيصبح وعليه مذلته).

وذو النون ﷺ يقول: (من خان الله في السر، هتك الله ستره في العلانية).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٣٣٤) وقال حسن صحيح، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢٨٩/٣ إسناده جيد، عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه الإمام البخاري (٦٤٩٢) عن أنس بن مالك ﷺ.

ويحيى بن معاذ ﷺ يقول: (عجبت من ذي عقل يقول في دعائه: اللهم لا تشمت بي الأعداء، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له، يعصى الله فيشمت فيه في يوم القيامة).

فبعد هذا الكلام المخيف، من النبي ﷺ والصحابة، والسلف الصالح، الذين تذوقوا حلاوة الإيمان، وعرفوا خطورة المعاصي والذنوب، على حياة الإنسان وقلبه، فهل يليق بعاقل أن يورد نفسه المهالك في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

٢-حرمان الطاعة:

إن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، فكلما ازدادت الظلمة ازداد الضيق والحيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[١].

فالمعصية سبب لهوان العبد على ربه، قال الحسن البصري ﷺ: (هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[٢].

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: (حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته).

وقال سليمان الدارني -رحمه الله-: (لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب).

---

(١) سورة الأنعام الآية (٧١).

(٢) سورة الحج الآية (١٨).

وسأل رجل الحسن البصري رضي الله عنه فقال: (يا أبا سعيد، إني أبيت معافي، وأحب قيام الليل، وأعد طهوري، فما بالى لا أقوم، قال: ذنوبك قيدتك).

وقيل: (كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة منعت قراءة سورة).

قال ابن القيم رحمه الله": قلة التوفيق، وفساد الراي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، واضاعة الحق، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه،ومنع اجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، واهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال...، تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والاحتراق عن النار، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة" (١).

❁❁❁

٣-حرمان الرزق والعلم والتوفيق الإلهي:

إذا كانت التقوى والطاعة مجلبة للرزق، فإن المعصية والفسوق يمنعان الرزق، وفي الحديث قال ﷺ: **"إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"** (٢).

قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها ∴ فإن المعاصي تزيل النعم

---

(١) كتاب الفوائد صـ ٤٤.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢٨٩/٣ إسناده حسن، عن ثوبان رضي الله عنه.

ودوام عليهـــا بشـــكر الإلـــه ∴ فـــإن الإلـــه سريـــع الـــنقم.

يقول بعض السلف: (إني لأعصى الله؛ فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي).

والعلم نور يقذفه الله في قلب العبد، والمعصية تطفئ هذا النور وتمحوه، ولما قـرأ الشافعي -رحمه الله- الموطأ على الإمام مالك -رحمه الله- قـال يـا بنـي: (إن أرى أن الله قد ألقى في قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية). وأنشد الشافعي -رحمه الله-:

شكوت إلى وكيع سوء حفظـي ∴ فأرشـدني إلى تـرك المعـاصي

وأخـــبرني بـــأن العلـــم نـــور ∴ ونـــور الله لا يهـــدى لعـــاص.

الصغيرة تتحول إلى كبيرة بعدة أمور منها:

١- الإصرار عليها، والمواظبة على فعلها، وقد قيل: (لا صغيرة مـع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار).

٢- المجاهرة بها، وفي الحديث قال ﷺ: **"كل أمتي معافي إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره الله عليه، ويصبح يكشف ستر الله عليه"** (١).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٠٦٩) عن أبي هريرة ﷺ.

٣- استصغارها، وقد قيل: (لا تنظر إلى صغر المعصية، وانظر إلى عظم من قد عصيت). ٤-عدم الاكتراث والفرح بها، وامتداحها أمام الناس، والتباهي بها أمام الآخرين، والتهاون بستر الله ﷻ.

❁❁❁

٤- نزول البلاء والعذاب من الله على الناس:

إن الناس الآن يشكون مرُّ الشكوى، من تغير الأحوال، والأزمان، وانتزاع البركة من الأرزاق، والآجال، وكثرة الأمراض، وانتشار الفقر، ونسوا جميعا أن ذلك كله من أنفسهم، وبسبب ذنوبهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[٣]. وقال أبو هريرة ﷺ : "إن الحباري لتموت في وكرها من ظلم الظالم" [٤].

وقال الإمام على ﷺ: (ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة).

إن كل معصية يقع فيها الناس الآن، إنما هي ميراث أمة من الأمم التي أهلكها الله ﷻ فليكن الناس على حذر من أن ينزل بهم ما نزل بالسابقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلًّا

---

(١) سورة الشورى الآية (٣٠).

(٢) سورة االروم لآية (٤١).

(٣) سورة الأنفال الآية (٥٣).

(٤) ذكره ابن حجر في الكافي الشافي(١٦٠) قال الألباني: موقوف ولم أقف على إسناده، عن أبي هريرة ﷺ.

أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[١]. إن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، حينما يبعدوا أنفسهم عن منهج الله و طاعته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (٢).

وفي الحديث عن أم سلمة ﷺ قالت سمعت الرسول ﷺ يقول: **"إذا ظهرت المعاصي في أمتي، عمهم الله بعذاب من عنده"** (٣).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال ﷺ: **"يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها، إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا. ولا نقص قوم المكيال، إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان. وما منع قوم زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا. ولا نقض قوم العهد، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه، إلا جعل الله بأسهم بينهم"** (٤).

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٠).

(٢) سورة الكهف الآية (٤٩).

(٣) الحديث ذكره الإمام ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧١/٧ إسناده رجال الصحيح، عن أم سلمة ﷺ.

(٤) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢٩/٣ إسناده صحيح أو حسن، عن عبد الله بن عمر ﷺ.

وفي مسند الإمام أحمد، عن جبير بن نفير قال: (لما فتحت قبرص، فرق بين أهلها، فبكي بعضهم إلي بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي، فقلت يا أبا الدرداء: ما الذي يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، فقال يا جبير: ما أهون الخلق علي الله إذا أضاعوا أمره، فبينما هي أمه قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلي ما ترى) (١).

لقد رتب الله الجزاء علي الشرط، والنتيجة على المقدمة، والنهايات مرتبطة بالبدايات،وذلك في موضع كثيرة من القرآن الكريم، فالجزاء من جنس العمل، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (٢).

والآيات في هذا الشأن كثيرة، والعاقل من اتعظ بغيره، والقصص القرآني فيه ما يكفي، لمن طلب الهداية والرشاد.

نسأل الله ﷻ أن يعصمنا من الذنوب والمعاصي، ما ظهر منها وما بطن.

وأن يسترنا بستره الجميل في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(١) القصة أوردها الإمام ابن قيم الجوزية في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي صـ٤٧-٤٨.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٦٦). وانظر سورة الصف الآية (٥). وسورة الزخرف الآية (٥٥). وسورة الحاقة الآية (١٠). وسورة الليل الآيات (٥-١٠).

(٤٩) من مداخل الشيطان للإنسان.

١ - عداوة الشيطان للإنسان والأنبياء.

٢ - أهداف الشيطان من الإنسان.

٣-أساليبه في الغواية.

٤ - العلاج.

❁❁❁

١ - عداوة الشيطان للإنسان والأنبياء.

الشيطان عدو واحد من بين أربعة أعداء للإنسان.

والأعداء الأربعة هم: الشيطان - الدنيا- النفس- الهوى- قال الشاعر:

إني بليت بأربع ما سلطوا ∴ إلا لأجل شقاوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفس والهوى ∴ كيف الخلاص وكلهم أعدائي.

وقال شاعر آخر:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ∴ وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم.

أ- فعداوة الشيطان قديمة جدا، قدم خلق الإنسان، حيث كانت نقطة البداية، رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾[١].

فالأنانية، وحب الذات، والحسد، هي التي جعلت من إبليس عدوا لآدم وذريته، من أجل ذلك أقسم بعزة الله، على غواية ذرية آدم إلى قيام الساعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾[٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾[٣].

وكانت نتيجة الجولة الأولى من الصراع نجاح الشيطان في إخراج آدم عليه السلام من الجنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾[٤].

هذا ما فعله الشيطان مع آدم عليه السلام وكان نبيا من الأنبياء، فماذا فعل بالأنبياء بعد آدم عليه السلام؟.

---

(١) سورة ص الآية (٧٦).
(٢) سورة ص الآيتان (٨٢-٨٣).
(٣) سورة الأعراف الآية (١٧).
(٤) سورة الأعراف الآية (٢٧).

ب- أغوى موسى عليه السلام حينما ضرب الخصم فقتله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

لقد كان سببا في وقوع موسى عليه السلام في القتل، ومن ثم كان تعليق موسى عليه السلام على ما وقع منه من القتل الخطأ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

ج- تسبب في حسد إخوة يوسف عليه السلام له، فتآمروا على قتله، أو الخلاص منه، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2].

د- وفي قصة بلقيس، حينما عبدت هي وقومها الشمس من دون الله، فكان الشيطان هو الذي يقف وراء هذا الضلال، والانحراف، والشرك، قال تعالى على لسان الهدهد: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة القصص الآية (١٥).

(٢) سورة يوسف الآية (١٠٠).

(٣) سورة النمل الآية (٢٤).

هـ- وفي قصة أيوب عليه السلام كان سببا في مرض ألم به، استمر معه ثمانية عشر عاما، إلى أن شفاه الله عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾[1].

و- ولا ينسى أحد من المسلمين، دور الشيطان في تأليب مشركي قريش على النبي ﷺ في دار الندوة، فتآمروا على قتله، كما حكي القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠ ﴾[2]. فإذا كان الأنبياء لم يسلموا من وسوسته وغوايته، فكيف بغير الأنبياء من البشر الضعفاء؟.

❁❁❁

٢- أهداف الشيطان من الإنسان.

إن الشيطان يعمل بالليل والنهار، من أجل أن يصد الناس عن طريق الله، فيشاركوه نهايته الأليمة، فلا يكون وحده في النار، ومن ثم فهو يهدف إلى عدة أمور من الناس منها:

١- إيقاع الناس في الكفر والشرك بالله عز وجل: سواء كان الشرك الأصغر أو الأكبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ ﴾[3].

---

(١) سورة ص الآية (٤٠).

(٢) سورة الأنفال الآية (٣٠).

(٣) سورة يس الآية (٦٠).

٢- الابتداع في الدين: إذا عجز الشيطان عن صرف الناس عن التوحيد الخالص، فإنه يوقعهم في البدع، وخطورة البدع أن صاحبها لا يتوب منها؛ لأنه لا يعتقد أنه يصنع ذنبا، بل يعتقد أنه يصنع قربة إلى الله، وقد حذر النبي ﷺ من الابتداع، في الدين فقال ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"** (١).

٣-الوقوع في الكبائر والصغائر: إذا عجز الشيطان عن فعل ما سبق، فإنه يحاول أن يوقع الناس في الكبائر والصغائر، فيضعف أثر الإيمان والمراقبة في قلب المسلم نحو الله.

٤- الإسراف في المباحات: فهي أمور الأصل فيها الإباحة، لكن الإسراف فيها يجعل الإنسان يميل إلى الفتور، والكسل عن العبادة والطاعة، فيخسر كثيرا، ويقعد عن العمل.

٥-عمل المفضول وترك الفاضل: فالشيطان لا يترك الإنسان لا محالة، فيحاول أن يوقعه في شراكه، ومنها أن يجعل الإنسان يفعل المفضول ويترك الفاضل، ومن ثم يغيب عنه فقه الأولويات، فيخسر كثيرا، لاختلال ميزان العمل الشرعي عنده.

يقول الحسن بن صالح: (إن الشيطان يفتح للعبد تسعة وتسعين بابا من الخير، يريد بابا واحدا من الشر).

يقول أحد السلف: (إن الشيطان كان يلقى الناس فيعلمهم، فصار يلقاهم فيتعلم منهم). سئل الحسن البصري ﷺ: (هل ينام الشيطان؟ قال: لو نام الشيطان لارتاح بنو آدم). ❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ﷺ.

٣- أساليبه في الغواية:

١- التدرج: الشيطان يأخذ الإنسان خطوة خطوة، فلا يوقعه في الكفر دفعة واحدة، وإنما يتدرج به حتى يصل إلى هذه النهاية السيئة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾[٢].

٢-التسويف: أنه يقعد الإنسان عن العمل الصالح لغد، أو بعد غد، فيقعد الإنسان عن العمل بالكلية.

٣-النزغ: ومعناه إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾[٣].

٤- الوسوسة: بأن يقذف بخاطر السوء في قلب الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦ ﴾[٤].

---

(١) سورة النور الآية (٢١).
(٢) سورة البقرة الآية (١٦٨).
(٣) سورة الإسراء الآية (٥٣).
(٤) سورة الناس الآيتان (٥-٦).

٥- الوعود الكاذبة: فالشيطان يعد الإنسان ويمنيه، ثم يتخلى عنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

٦-التخويف بالفقر: الشيطان يشعر الإنسان عندما يريد أن يتصدق بأن الفقر يلاحقه، فيقعده عن الإنفاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾[2].

❁❁❁

٤-العلاج:

١- يقظة العبد في كل تصرفاته، فيتذكر العداوة القديمة منذ آدم عليه السلام وإذا كانوا يقولون: إذا كان عدوك نمله، فلا تنم له، فكيف إذا كان الشيطان اللعين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[3].

٢- أن يستعين بالله عز وجل في كل شئون حياته، فيكثر من الاستعادة، والمعوذتين، وآية الكرسي، وأذكار الصباح والمساء، والذكر المطلق، فكل هذه الوسائل تعصم الإنسان من وساوس الشيطان ونزغاته.

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٢٢).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٦٨).

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٢).

٣-أن يسد منافذ الشيطان، بالبعد عن الغضب وأسبابه، لأن الغضب أكبر مدخل من مداخل الشيطان، وفي الحديث قال ﷺ لمن طلب الوصية: **"لا تغضب"** (٣).

٤- البعد عن أماكن الشبهات والشهوات، ومواطن الشك والريبة، ليغلق باب على شياطين الجن والإنس.

وفي الحديث قال ﷺ: **"دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك، فإنَّ الصدقَ طمأنينةٌ، وإنَّ الكذبَ رِيبةٌ"** (٤).

٥- أن يبعد نفسه عن الحسد والطمع عما في أيدي الآخرين، لأن واهب النعم إنما هو الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٠).

(٢) سورة النحل الآيتان (٩٨ – ٩٩).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١١٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٨) وقال حسن صحيح، عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) سورة النساء الآية (٥٤).

٦-أن يتحلى بالقناعة والرضا بما قسمه الله له، فلا يشغل نفسه بما مع الناس من مال ونعم، وفي الحديث قال ﷺ: **"ليسَ الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ"**(١).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"وارض بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس"** (٢).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بما آتَاهُ"**(٣).

نسأل الله ﷻ أن يحفظنا من شياطين الجن والإنس.

وأن يحفظنا من كل مكروه وسوء في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٤٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٠) حديث حسن لشواهده، عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٥٠) الطريق إلى إصلاح النفس(١)

١- أهمية إصلاح النفس.

٢- لماذا التركيز على إصلاح النفس.

٣- أحوال النفس.

٤- صفات النفس الأمارة.

٥- خطوات نحو العلاج.

❁❁❁

١- أهمية إصلاح النفس.

يحرص الإسلام على إعداد وتكوين المسلم الصحيح، الذي إذا وجد وجدت معه أسباب النجاح والفلاح، فهو كالغيث، أينما وقع نفع، وهو كالشمس، إن غربت عن مكان فهي تشرق في مكان آخر،

لقد كان العرب قبل الإسلام رعاة غنم، وأمة مهملة، لا قيمة ولا وزن لها في النظام العالمي القديم، الذي كان يتزعمه الفرس والروم، كانوا فقراء، ضعفاء، يعيشون على هامش الحياة، وعلى جانب التاريخ.

---

(١) هذه الخطبة مستفادة من إحياء علوم الدين، للغزالي. ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي. والمستخلص في تزكية الأنفس، لسعيد حوى. ومشروع إصلاح النفس، د. عبد الحي الفرماوي-رحمهم الله جميعا-.

فلما جاء الإسلام، غير هذه الأوضاع كلها، حولهم من رعاة غنم إلى قادة أمم، ومن أمة فقيرة منسية لا تجد ما تأكله، إلى أمة ورثت كنوز كسرى وقيصر، وأصبحت تدين لها نصف الكرة الأرضية بالسمع والطاعة، وغيرت مجرى التاريخ كله.

وطبيعة النفس البشرية بين إقبال وإدبار، تخطو خطوة وترجع خطوات، تؤدى الفرض، وأحيانا تفرط في السنة، تقوم بالواجب وتقعد عن المندوب، تحب الراحة والدعة، وتميل إلى الكسل والفتور، وتخلد إلى جواذب الأرض، وتحن إلى عناصر الطين، تتقلب بين ليلة وأخرى، وتتغير بين عشية وضحاها، تنقاد كرها لا طوعا، تنشط في الجماعة، وتكسل في الفردية.

إذا غاب عنها أبواب الحلال، قد تضعف أمام الحرام، خاصة إذا ضعفت العزيمة، وأفرطت في المباحات، ولا تسلم من الوقوع فيه، ورضيت بالشبهات، واستراحت إلى الشهوات. وكما قال أحد السلف: دعوتها طويلا إلى الله فأبت، فهل تسكت عنها لتقود صاحبها إلى أسوأ مصير. قال أبو العتاهية –رحمه الله–:

وفرزُ النّفوس كفرزِ الصّخور ∴ ففيها النّفيس وفيها الحجر

وبعضُ الأنام كبعض الشّجر ∴ جميلُ القوامِ شحيحُ الثّمر.

ولا شك أن إصلاح النفس مدخل إلى كل خير وفلاح، وطريق إلى كل تقدم ونجاح، وهذا يحتاج إلى همة عالية، وإرادة قوية، وصدق في العزم، وشد للرحال.

❁❁❁

٢- لماذا التركيز على إصلاح النفس:

أولا: لأنه تكليف إلهي من الله ﷻ لكل مسلم ومسلمة، حتى يقي نفسه من عذاب النار يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[1].

وهل تكون وقاية النفس والأهل والأولاد من النار، إلا بالإصلاح والتغيير، فالإنسان بين أمرين، إما إصلاح وجنة، وإما إهمال ونار، وغضب الجبار.

ثانيا: إن إصلاح النفس هو سبب الفلاح في الدنيا والآخرة، فقد وضع الله ﷻ ميزانا للإنسان، إن سار عليه عاش حياة طيبة، وإن خالفه تقلب بين القلق والشقاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾[2].

ثالثا: نركز على إصلاح النفس، لأنه هدف من أهداف البعثة المحمدية، فجعل الله ﷻ التزكية قبل التعليم، وذلك لأهمية الإصلاح ومنزلته في مقام التعليم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾[3].

---

(١) سورة التحريم الآية (٦).

(٢) سورة الشمس الآية (٧-١٠).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥١).

رابعا: نركز على إصلاح النفس، لأنها أهم خطوة في إصلاح المجتمع، فالإصلاح لا يأتي من الخارج، وإنما يأتي من داخل الإنسان، من النفس قبل الجسد، ومن الجوهر قبل العرض، ومن المضمون قبل الشكل، فإصلاح المجتمع بإصلاح لبناته، وتغيير المجتمع بتغير أفراده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[1].

إن الله لا يغير ما بقوم من الكرب، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الذنوب، فلا يكون التغيير إلا بعد التغيير، فلا تغير للمجتمع إلا بتغير الأفراد، ولا تغيير للأفراد إلا بإصلاح النفس وتزكيتها.

خامسا: نركز على إصلاح النفس، لأن إهمالها خسارة لا تعوض، وضياع لا يستدرك، وذلك هو الخسران المبين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

فماذا يستفيد الإنسان إذا ربح أموال العالم كله وخسر نفسه، لقد خسر كل شيء، وما تنفعه أموال العالم في شيء، وذلك هو الخسران المبين.

سادسا: نركز على إصلاح النفس، لأن بعض الناس يعتنون بالجسد على حساب الروح والنفس، ويعتنون بالمظهر، ويتركون الجوهر، يشغلون أنفسهم بمتطلبات

(١) سورة الرعد الآية (١١).

(٢) سورة الزمر الآية (١٥).

الجسد من الطعام والشراب، والملبس والمسكن والمركب، وقضاء الغريزة والشهوة، ويهملون حظ النفس من الإصلاح، والروح من العبادة.

والإنسان الحقيقي يقاس بنفسه لا بجسده، وبصلاحه وتقواه، لا بشكله ومظهره، وقديما قال أبو الفتح البستوي:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ∴ أتطلب الربح مما فيه خسران.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ∴ فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان.

سابعا: نركز على إصلاح النفس، ليهدأ الإنسان من الصراع الداخلي، فلقد خلق الله الخلق على ثلاثة أقسام، قسم ركب فيهم العقل وهم الملائكة، وقسم ركب فيهم الشهوة وهم الأنعام، وقسم ركب فيهم الاثنين معا وهم البشر، فالملائكة مفطورون على الطاعة، والمعصية لا تأتى على خاطرهم، والأنعام غير مكلفة لأن الله لم يركب فيها العقل.

وبقى الإنسان يعيش في صراع بين ما يمليه عليه عقله من الطاعة، وبين ما تجره إليه شهوته من المعاصي والذنوب، ويظل الإنسان في هذا الصراع المستمر من القلق والتوتر، ولا يشعر بالراحة إلا إذا انتصر بعقله على شهوته، فأصلح نفسه بمنهج الله، فيشعر بالطمأنينة والأمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1].

(١) سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤).

ثامنا: نركز على إصلاح النفس لأنها لون من الجهاد، فمن لم يستطع مجاهدة نفسه فكيف يجاهد الأعداء؟ وجهادها صعب، حيث إنه يحتاج إلى فطام وقمع عن الشهوات، وكلاهما ثقيل على النفس، ويحتاج إلى صبر ومصابرة، وجهاد واجتهاد.

قال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ∴ حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم.

وقال البوصيري أيضا:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ∴ وإن هما محضاك النصح فاتهـــم.

ولا تطع منهما خصما ولا حكمـا ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم.

فمخالفة رغبات النفس، جهاد كبير، لأنه عدو داخلي جاهل، لا يفطن إليه كثير من الناس، قال الشاعر:

أشد الجهاد جهاد الهوى ∴ وما كرم المرء إلا التقى.

٣- أحوال النفس:

إن كل إنسان له نفس واحدة، لكن تعتريها ثلاثة أحوال، وتتقلب بين عدة مستويات، ما بين علو وهبوط، وارتفاع وانخفاض، وتزكية وإهمال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[1].

والقرآن الكريم بين أحوال النفس، في ثلاث آيات من سور القرآن الكريم:

(١) سورة الشمس الآيتان (٩-١٠).

١-**النفس الأمارة**: قال ﷻ على لسان امرأة العزيز في سورة يوسف: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[١].

والنّفس الأمّارة: وهي الّتي تميل إلى الطّبيعة البدنيّة وتأمر باللّـذّات والشّـهوات الحسّيّة، وتجذب القلب إلى الجهة السّفليّة، فهـي مـأوى الشّـرور، ومنبـع الأخـلاق الذّميمة، وهذه هي النّفس الّتي يجب مجاهدتها.

٢-**النفس اللوامة**: قال ﷻ في مطلع سورة القيامة وفي موطن القسـم: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[٢].

النّفس اللّوّامة: وهي الّتي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلـة، وكلّما صدرت عنها سيّئة بحكم جبلّتها أخذت تلوم نفسها.

٣-**النفس المطمئنة**: قال ﷻ في سورة الفجر عن النهاية السعيدة لتلـك الـنفس: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾[٣]. فلا شك أنها نفـس واحـدة، لكنهـا تعتريهـا ثلاثـة أحـوال، حسـب موقـف الإنسان من مجاهدته لنفسه، أو إهماله لها.

فنفوس الناس في طبائعها ليست على درجة واحدة، ففيها النفس الأمارة، وفيهـا اللوامة، وفيها المطمئنة. فما النفس الأمارة حتى نحذرها، ونفر منها إلى اللوامـة، ثـم نرتقي بها إلى المطمئنة؟.

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٣).

(٢) سورة القيامة الآيتان (١-٢).

(٣) سورة الفجر الآيات (٢٧-٣٠).

النّفس المطمئنّة: وهي الّتي تمّ تنوّرها بنور القلب، حتّى انخلعت عن صفاتها الذّميمة وتخلّقت بالأخلاق الحميدة.

❁❁❁

٤- **صفات النفس الأمارة**: هي التي تأمر صاحبها بالسوء والمعصية، فهي أمارة أي فعالة، كثيرة الأمر لصاحبها بالمعصية، فصاحبها لا يهدأ له بال، ولا يطمئن له مضجع، إلا إذا اقترف المعاصي والذنوب والآثام، يتلذذ بها دقائق معدودة، وتبقى حسرتها تطارده في الدنيا والآخرة، قال الشاعر:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ∴ من الحرام ويبقى الخزي والعار.
تبقى عواقب سوء في مغبتها ∴ لا خير في لذة من بعدها النار.

ومن صفاتها أيضا: أنها نفس مريضة، تبلد إحساس صاحبها فلا يحس بشؤم المعصية، وخطورة الذنب، والذنوب سموم قاتلة، تقتل الإيمان، وتدمر البنيان، وتجعل الإنسان يشعر بالوهن والضعف الداخلي.

قال عبد الله بن المبارك –رحمه الله-:

رأيت الذنوب تميت القلوب ∴ وقد يورث الذل إدمانها.
وترك الذنوب حياة القلوب ∴ فخير لنفسك عصيانها.

ويقول عبد الله بن عباس ﷺ: (إن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، وقلة في الرزق، وبغضا في قلوب الناس).

النفس الأمارة: هي التي تمشى خلف الشيطان، فيسعى بها إلى حتفها وهلاكها، فهو لا يترك وسيلة إلى إغواء تلك النفس إلا وعمل بها، فيدخل إليها من خلال الغرائز والشهوات، مثل غريزة حب الخلود في الدنيا، وغريزة التملك.

لقد حكي القرآن الكريم عن مدخل الشيطان لآدم عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[1].

وقد يدخل لبعض النفوس عن طريق حب المال، وجمعه من حرام، والله ﷻ يقول: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[3].

وقد يدخل لبعض النفوس الضعيفة عن طريق حب المنصب، أو الشهرة، أو الجاه، فيتمنى أن يصبح حديث الناس في كل مكان، وفي صفحات الجرائد والمجلات، ويجد في ذلك شهوة دفينة في نفسه، لا يستطيع أن يتحكم فيها، وقد قيل حب الظهور يقصم الظهور.

وقد يدخل لبعض النفوس عن طريق مخاطبة الغريزة الجنسية، كما نرى شياطين الإنس الذين يعملون على إنتاج وتسويق الأفلام الهابطة، والمسلسلات الماجنة، التي تخاطب غرائز الناس وشهواتهم.

---

(١) سورة طه الآية (١٢٠).

(٢) سورة الفجر الآية (٢٠).

(٣) سورة العلق الآيتان (٦-٧).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

وقال الجاحظ: وللنّفس ثلاث قوى وهي تسمّى أيضا نفوسا، وهي:

النّفس الشّهوانيّة: ويشترك فيها الإنسان وسائر الحيوان.

النّفس الغضبيّة: وهي أيضا قاسم مشترك بين الإنسان والحيوان.

النّفس النّاطقة: وهي الّتي يتميّز بها الإنسان على سائر الحيوان.

ويتحقق جهاد المرء لنفسه بمنعها عن المعاصي، وبمنعها من الشّبهات، وبمنعها من الإكثار من الشّهوات المباحة، لتتوفّر لها في الآخرة؛ ولئلّا يعتاد الإكثار، فيألفه فيجرّه إلى الشّبهات، فلا يأمن أن يقع في الحرام.

❁❁❁

(١) سورة النور الآية (١٩).
(٢) سورة النساء الآية (٢٧).

٥-خطوات نحو العلاج.

١. التوبة النصوح.

٢. مداومة الذكر والاستغفار.

٣. المكاشفة.

٤. المعاهدة.

٥. المجاهدة.

٦. المراقبة.

٧. المحاسبة والمعاتبة.

وعلاج هذه النفس الأمارة، والارتقاء بها إلى اللوامة، ثم الصعود بها إلى المطمئنة، التي هي أعلى أنواع النفوس وأفضلها، يحتاج إلى عدة أدوية مستفادة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتحتاج إلى همة عالية، وعزيمة قوية، وثبات على الطاعة، وهذا ما سوف يتضح من خلال سلسلة الخطب القادمة إن شاء الله ﷻ.

لكن ذلك يحتاج إلى همة عالية، وعزيمة قوية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٢). **نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أصحاب النفوس المطمئنة.**

الذين يجاهدون أنفسهم بقوة، حتى تستقيم على طاعة الله ﷻ.

❁❁❁

(١) سورة مريم الآية (١٢).

(٢) سورة البقرة الآية (٦٣).

(٥١) التوبة النصوح.

١- معنى التوبة النصوح.

٢- شروطها.

٣- الترغيب فيها.

٤- من آثار التوبة على الفرد والمجتمع.

❁❁❁

١-معنى التوبة النصوح: الرجوع عن الذنب والإثم، وعدم الوقوع فيه مرة أخرى، وأن يفتح الإنسان صفحة جديدة مع الله، ويغلق كل الصفحات القديمة الماضية.

وأول شيء يجب أن يفعله الإنسان صاحب النفس الأمارة، من أجل إصلاحها وتهذيبها والارتقاء بها، إنما هو التوبة النصوح إلى الله ﷻ حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴿٨﴾﴾[1].قَالَ الْقُرَظِيُّ: يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: (الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ بِالْجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ).

ومن تمام التوبة وكمالها، أن يزيل آثارها المترتبة عليها، فيتخلص من المال الحرام الذي اكتسبه، ويكثر من الصيام والجوع حتى يزيل اللحم والشحم الذي تكون من الحرام، ويكون حاسما وصادقا في ذلك. ❁❁❁

---

(١) سورة التحريم الآية (٨).

٢-شروطها:

١- أن يقلع الإنسان عن الذنب.

٢-أن يندم على جميع ما فات من الذنوب والمعاصي.

٣-أن يعزم على أن لا يعود إلى المعصية مرة أخرى.

٤- أن يرد المظالم إلى أهلها، أحياءً وأمواتا، ويفتح صفحة جديدة مع الله ﷻ.

ونقيض ذلك أن يفرح بالذنب إذا أمكنه، أو سنحت له فرصه، فعن ابن عباس ﷺ أنه قال: (فرحُك بالذنب إذا ظفرت به أعظمُ من الذنب، وحزنُك على الذنب إذا فاتك أعظمُ من الذنب)(١).

❁❁❁

٣-الترغيب فيها.

لقد رغب الله ﷻ في التوبة النصوح، بل أمر بها عباده في آيات كثيرة، ووعد عليها بالثواب العظيم، والغفران الكبير، وهذه التوبة النصوح واجبة على كل إنسان، مهما كانت ذنوبه الماضية، من الصغائر والكبائر، ومهما كانت معاصيه وحجمها وعددها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾(٢).

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ١/٣٢٤.

(٢) سورة النور الآية (٣١).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ (١). وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٢).

وصاحب النفس الأمارة عليه أن لا ييأس من رحمة الله، مهما سود وجه الأرض بالمعصية، فالله ﷻ فتح باب التوبة على مصراعيه بالليل والنهار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾(٣).

وفي الحديث قال ﷺ: **"إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها"** (٤). فباب التوبة مفتوح أمام العبد أربعا وعشرين ساعة، بالليل والنهار، في السر والعلانية.

ومن العجيب أن الله ﷻ يفرح بتوبة العبد العاصي، حينما يعود إلى ربه، بل يتفقده ويبحث عنه كل يوم، كما جاء في الحديث الشريف قال ﷺ: **"إن الله ينزل إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ويقول: ألا من تائب فأتوب عليه؟ ألا من سائل فأعطيه؟ ألا من داع فأجيبه؟"** (٥).

---

(١) سورة النساء الآية (١٧).

(٢) سورة الحجرات الآية (١١).

(٣) سورة الزمر الآية (٥٣).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٧٥٩) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٥) الحديث أخرجه الإمام الألباني في كتاب السنة (٤٩٨) وقال إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فهل هناك أكرم وأجود من الله ﷻ حتى نعود إليه، ونفر إلى مغفرته ورحمته ورضوانه على جناح من الشوق؟. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾[١].

وابن عمر رضي الله عنهما يقول سمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ أكثرَ مِن عشرينَ مرَّةً يقولُ: **"كان ذو الكفلِ مِن بني إسرائيلَ لا يتورَّعُ مِن شيءٍ، فهوى امرأةً فراوَدها على نفسِها وأعطاها ستِّينَ دينارًا، فلمَّا جلَس منها بكت وأُرعِدت، فقال لها: ما لكِ؟ فقالت: إنِّي واللهِ لم أعمَلْ هذا العملَ قطُّ، وما عمِلْتُه إلَّا مِن حاجةٍ قال: فندِم ذو الكِفلِ، وقام مِن غيرِ أنْ يكونَ منه شيءٌ، فأدرَكه الموتُ مِن ليلتِه، فلمَّا أصبَح وجَدوا على بابِه مكتوبًا: إنَّ اللهَ قد غفَر لك"**[٢].

فالمسلم لا يعرف اليأس من رحمة الله ﷻ مهما كانت ذنوبه ومعاصيه، ولو كانت من الكبائر، أو مثل زبد البحر، فالتوبة النصوح تمحها كأنها لم تكن من قبل.

❁❁❁

٤-من آثار التوبة على الفرد والمجتمع.

١- إنها الخطوة الأولى نحو إصلاح النفس، والارتقاء بها إلى النفس المطمئنة.

٢- تكفير كل ما مضى من الذنوب والمعاصي، التي في حق الله، وأما حقوق العباد فتحتاج إلى رد المظالم، أو المسامحة في حقوقهم، وكما قيل: (حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة).

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٠).

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٣٨٧) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

٣- انفراج الكربات والشدائد، من الغلاء، والبلاء، والأمراض، والنوازل، قال الإمام علي ﷺ: (ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة).

٤- حصول التوفيق، والعون، والنصرة، والتأييد، والفلاح، والمحبة من الله ﷻ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[1].

٥- دخول الجنة، والتمتع بما فيها من نعم لا حصر لها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[2].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من التوابين والمتطهرين،

وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها، دقها وجلها، صغيرها وكبيرها،

ما علمنا منها وما لم نعلم.

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية (٢٢٢).

(٢) سورة التحريم الآية (٨).

(٥٢) مداومة الذكر والاستغفار.

١- فضائل الذكر والاستغفار.

٢- أنواع الذكر المأثورة.

٣- فوائد الذكر وآثاره في حياة المسلم.

❁❁❁

١-فضائل الذكر والاستغفار.

الدواء الثاني لإصلاح النفس الأمارة، هو مداومة الذكر والاستغفار، آناء الليل وأطراف النهار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[١].

فالذكر صحة للنفس، وعافية لها، وينقل الإنسان من ديوان الغافلين، إلى ديوان الذاكرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٣].

فالذاكر من الأحياء، وغير الذاكر من الأموات، وإن كان يأكل ويشرب ويعيش في دنيا الناس، وفي الحديث قال ﷺ: **"مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، كمثل الحي والميت"** [٤].

---

(١) سورة نوح الآية (١٠).

(٢) سورة الإنسان الآية (٢٥).

(٣) سورة الروم الآية (١٧).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٠٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وصاحب النفس الأمارة لا ييأس من روح الله، مهما كانت آثاره السيئة، وتاريخه القديم في اقتراف الذنوب والمعاصي، فالله ﷻ فتح باب الأمل أمام المذنبين، مهما كانت سيئاتهم، ففي الحديث القدسي: **"يابن آدم، إنك إذا ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك على ما كان منك، يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة"** (١).

فالله ﷻ وعد بمغفرة الذنوب، مهما كان حجمها، جميعا مهما كان عددها، فلو كانت عدد رمال الصحراء، أو مثل زبد البحر، أو عدد نجوم السماء، أو أمثال الجبال العظام، فكل ذلك وعد الله بمغفرته، مادام العبد تاب وأناب واستغفر، ولم يشرك بربه شيئا.

والاستغفار يفرج الهموم والغموم والضيق، ويفتح للعبد أبواب الرزق من حيث لا يدرى، وفي الحديث قال ﷺ: **"من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق فرجا، ومن كل هم مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب"** (٢).

وكلما ازداد العبد إقبالاً على ربه، ازداد الله إقبالا عليه، وفي الحديث القدسي: **"أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي،**

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٤/٢١٤ إسناده حسن، عن أنس بن مالك ﷺ.
(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٥١٨) إسناده جيد، وهو حسن غريب، عبد الله بن عباس ﷺ.

و إن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة" (١).

فيستحب للمسلم أن يحرص على مداومة الذكر والاستغفار، لأنه صحة للنفس وعافية لها، وتكفيرا للذنوب والمعاصي، وتفريجا للكروب، ويفتح للعبد أبوابا من الخير والرزق من حيث لا يحتسب.

❁❁❁

٢-أنواع الذكر المأثورة عن النبي ﷺ أربعة:

١- أذكار عقب الانتهاء من الصلوات الخمس، تسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد الله ثلاثا وثلاثين، وتكبر الله ثلاثا وثلاثين، وتكمل المائة بسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٢- أذكار الصباح والمساء، وهي عبارة عن بعض آيات وأحاديث، مأثورة عن النبي ﷺ كان يقولها صباحا ومساءً.

٣- أذكار اليوم والليلة، أو ذكر الحال، ففي كل عمل نعمله هناك أدعية مأثورة عنه ﷺ يستحب للمسلم أن يحرص عليها، وفق المناسبات المختلفة التي تقع للمسلم في اليوم والليلة.

٤- الذكر المطلق، في أي وقت، وفي أي مكان، يستحب للمسلم أن يشغل لسانه بالذكر المطلق لله ﷻ حتى يحظى بالأجر والمثوبة منه ﷻ. مثل **"**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**"**. وفي الحديث قال ﷺ: **"كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ عَلَى**

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة ﷺ.

اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ فِي المِيـزانِ، حَبِيبَتـانِ إلى الـرَّحْمَنِ: سُـبْحانَ اللهِّ العَظِـيمِ، سُـبْحانَ اللهِّ وبِحَمْدِهِ"(١).

وسيد الاستغفار من أفضل صيغ الاستغفار المأثورة، وهو أن يقول العبد: **"اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"**. ومن صيغ الاستغفار المأثورة أيضا: **"اللهم إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"**.

❁❁❁

٣-من فوائد الذكر وثمراته في حياة المسلم:

١ - أنه يقرب العبد من ربه، ومرضاته، وجنته. و يبعـد العبـد عـن غضـب الله، وسخطه، وناره.

٣-إنارة الوجه وإضائته؛ وذلك لأنّ الذكر والاستغفار يليّنان القلب ويمحيـان القسوة منه، الأمر الذي ينعكس إيجابيّا على الوجه، نورا وإضاءة وإشراقا وبهاءً.

٤-إنه من أسباب سعة الرزق الواسع، والذي قد يكون ذرية صالحة، أو أمـوالا طيبة، أو زوجة صالحة، أو محبة في قلوب الناس.

٥-إكساب الذاكر والمستغفر القوّة الإيمانية والنفسية عنـد الشـدائد، فهـو يزيـل الحواجز بين العبد وربه، فيمنحه الله قوة من قوته، وعزا من عزته، وغنىً من غناه.

(١)الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٠٦) عن أبي هريرةﷺ.

٧- أنه يبعد العبد عن الشيطان ووساوسه، فالله يحفظه من وساوس الشيطان ومكائده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[١].

٨- أنه يكسب العبد طمأنينة القلب، وسكينة النفس، وصفاء الذهن، وصلاح البال، والحياة الكريمة، في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٣].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذاكرين الله كثيرا.

المسبحين بكرة وأصيلا.

❁❁❁

(١) سورة الأعراف الآية (٢٨).

(٢) سورة الرعد الآية (٢٨).

(٣) سورة الأنعام الآية (٨٢).

(٥٣) المكاشفة والمعاهدة.

١- المكاشفة: معناها، وكيفية تطبيقها.

٢- المعاهدة: معناها، وكيفية تطبيقها.

معنى المكاشفة:

أن يكاشف الإنسان نفسه، ويكون صريحا معها، فيحدد الداء والمرض والعلة التي يعانى منها في إيمانه، أو معاملاته، أو أخلاقه، وكذلك يكاشف نفسه في جوارحه الخاصة مثل اللسان، والعين، والأذن، والبطن، والفرج، والعقل، هل هذه الجوارح على استقامة؟.

أم أن لديه بعض العيوب، التي تحتاج إلى وقفة سريعة للتخلص منها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾[١].

فالإنسان العاقل هو الذي يكاشف نفسه بحقيقة نفسه، وفي الحديث قال ﷺ: **"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والجاهل من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى"** [٢].

لقد وضع الله في داخل الإنسان ميزان الفطرة، حتى يكون قيما على نفسه، عندما تلتبس عليه الأمور، وتنزل به الفتن، ويسد الظلام.

---

(١) سورة القيامة الآيتان (٩-١٠).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤٥٩) وقال حديث حسن، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

وفي الحديث عن وابضة بن معبد ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ فقال: **"جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك"** (١).

وفي قصة حنظلة الشهيرة دليل على المكاشفة، حينما اتهم نفسه بالنفاق، لأنه شعر بتغيير في مستوى إيمانه، حينما يكون مع الرسول ﷺ وضعف مستوى الإيمان، حينما يكون مع أهله، فقال ﷺ: **"ما نافق حنظلة، وإنما هي ساعة وساعة، ولو دمتم على هذه الحالة لصافحتكم الملائكة على الفرش"** (٢).

المطلوب من المسلم إذا أراد إصلاح نفسه، أن يكون صريحا في هذه المكاشفة، وأن يمسك ورقة وقلما، ويدون عيوبه بدقة ووضوح، حيث إن تحديد العلة نصف الطريق للإصلاح.

١- هل كاشف الفرد منا نفسه في لسانه، وموقفه من الغيبة والنميمة؟.

٢- هل كاشف الفرد منا نفسه في عينه، وسألها عن النظرات المحرمة، التي تقع فيها كل يوم؟.

٣- هل كاشف الفرد منا نفسه في أذنه، وسألها عن التنصت، أو التجسس على خصوصيات الآخرين؟.

٤- هل كاشف الفرد منا نفسه في بطنه، وسألها عن مصدر غذائها، هل هو من الحلال أو الحرام، أو الشبهات؟.

---

(١) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢٣/٣ إسناده حسن، عن وابصة بن معبد ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٧٥٠) عن حنظلة بن حزيم الأسدي التميمي ﷺ.

٥- هل كاشف الفرد منا نفسه في فرجه، وسأله في أي الوسائل يقضي وطره في الحلال المشروع، أم في غيره؟.

٦- هل كاشف الفرد منا نفسه عن عقله، في أي القضايا يفكر، هل يفكر في العمل والبناء والإصلاح، أم يفكر في الهدم والتخريب، والإفساد بين الناس؟.

هذه الأسئلة وغيرها، ينبغي للمسلم أن يوجهها لنفسه، ويجيب عنها بصراحة ووضوح، حتى يعرف نفسه، فمعرفة الذات ومكاشفة النفس من أهم خطوات الإصلاح، لمن أراد الصلاح.

❁❁❁

٢- المعاهدة:

معناها: أن يضع المسلم عهدا بينه وبين الله ﷻ أن لا يقع في ذنب، أو معصية، صغيرة أو كبيرة، وأن يعاهد الله ﷻ على إصلاح عيوبه وآفاته، حتى يكون مسلما في أحسن صورة يحبها الله ﷻ ورسوله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء الآية (٣٤).

(٢) سورة النحل الآية (٩١).

(٣) سورة الفتح الآية (١٠).

إن الإنسان إذا كان بينه وبين الناس عهدا يجتهد أن يحفظه ويصونه، وهو بشر مثله، فكيف إذا كان هذا العهد بينه وبين الله ﷻ.

إن الفرد المسلم كلما ضعف أمام رغبات النفس وشهواتها، تذكر هذا العهد الذي بينه وبين الله ﷻ فيحفظ لنفسه كرامتها، ويبقى على العهد ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولا يضع نفسه موضع الاتهام، والتقصير، والضعف، والندم في يوم ما على ما قصر فيه. إن المسلم إذا خان العهد مع الله أو مع الناس، كان على خطر عظيم، حيث يعيش في ثلث نفاق، وفي الحديث قال ﷺ: **"آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"** (١).

وفي النهاية إن طريق إصلاح النفس طريق صعب، وهو لون من الجهاد الذي لا هوادة فيه، ويحتاج إلى صبر ومصابرة مستمرة لا تنقطع، حتى تستقيم النفس على الطريق، لكن حينما ينتصر الإنسان على نفسه يشعر بسعادة داخلية، وطمأنينة نفسية، وسكينه قلبية، لأنه استطاع أن يكون سيدا لا عبدا، وأن يكون متحكما في غرائزه، وليست هي التي تتحكم فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (٣).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المكاشفين والمجاهدين لأنفسهم.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٩) عن أبي هريرة ﷺ.
(٢) سورة آل عمران الآية (٢٠٠).
(٣) سورة العنكبوت الآية (٦٩).

(٥٤) المجاهدة.

١- معنى المجاهدة.

٢- أهميتها.

٣- نماذج وصور للمجاهدة.

❁❁❁

١- **المجاهدة معناها:** مخالفة هوى النفس في هواها وشهواتها، حيث تميل إلى الراحة، والدعة، والكسل، والنوم، وما لذ وطاب من الطعام والشراب، وحب التملك، والتعلق بالدنيا وزينتها.

وتأتى المجاهدة هنا بقطع النفس عن مألوف العادات، فيعطيها الضروريات المهمة، ويقودها إلى أوامر الله وطاعته، ولا يسمح لها أن تجذبه إلى الوراء، وتشده إلى الخلف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾[٢].

❁❁❁

٢- **أهميتها:** مجاهدة النفس أمر صعب، حيث إنه يحتاج إلى فطام، وقمع عن الشهوات، وهذا أمر ثقيل على النفس، يحتاج إلى صبر ومصابرة، وجهاد واجتهاد.

وقال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ∴ حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم.

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٦٩).

(٢) سورة النازعات الآيتان (٤٠-٤١).

والنفس راغبة إذا رغبتها ∴ والنفس من شرها في مرتع وخم.

وقال البوصيري أيضا:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ∴ وإن هما محضاك النصح فاتهم.

ولا تطع منهما خصما ولا حكما ∴ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم.

فمخالفة رغبات النفس جهاد كبير، لأنه عدو داخلي، لا يفطن إليه كثير من الناس، وهي عدو جاهل أخطر من العدو العاقل، فأعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه.

والطريق إلى النار مليء بالشهوات، والطريق إلى الجنة مليء بالمكاره، وهذا يعني أن طريق النار سهل، لأنه هبوط إلى أسفل، وطريق الجنة صعب، لأنه صعود إلى أعلى، وفي الحديث قال ﷺ: **"حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره"** (١).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك"** (٢).

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٢٢) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٨٨) عن ابن مسعود ﷺ.

٣- نماذج وصور للمجاهدة.

١- من صور المجاهدة الاستفادة من نعمة الوقت والصحة، فهما رأس مال الإنسان، فإذا أضاع صحته ووقته فيما لا ينفعه في دينه ودنياه، فماذا بقى له من عمره، حتى يلقى الله به؟.

وفي الحديث قال ﷺ: **"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ"**(١). وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"خيركم من طال عمره، وحسن عمله"**(٢).

وفي الحديث قال ﷺ: **"اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هِرَمِك، وصِحَّتَك قبل سِقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبل موتِك"** (٣).

فخير الناس من استثمر وقته وصحته في طاعة الله وعبادته، فيحظى بسعادة الدنيا والآخرة.

٢- ومن صور المجاهدة، أن يكون المسلم قوى الإيمان والبدن، فالقوة تجعل المسلم يحقق هدفه وغايته من الحياة، وفي الحديث قال ﷺ: **"المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز"** (٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤١٢) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٣٢٩) وقال حسن غريب، عن عبد الله بن بسر ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٢٠٣/٤ إسناده صحيح أو حسن، عن عبد الله بن عباس ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.

يقول ابن المبارك: (إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوا، وإن أنفسنا لا تواتينا إلا كرها).

٣- التحكم في الجوارح والأعضاء: ليس كل ما تتطلبه جوارح الإنسان أو غرائزه من شهوات يجب تحقيقه، بل يجب عليه أن يبحث عن طريق الحلال، مع عدم الإسراف، حتى لا يكون المسلم عبدا لشهواته وغرائزه، ومن ثم تكون المجاهدة في التحكم في العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والقدم، والعقل، والنفس، فيستخدم هذه الجوارح في طاعة الله وما يرضيه.

وفي الحديث قال ﷺ: **"اضمَنوا لي سِتًّا من أنفسِكم، أضمنُ لكم الجنَّةَ: اصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوْفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمِنتم، واحفَظوا فروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم"**(١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والجاهل من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني"** (٢).

٤- ومن صور مجاهدة النفس كثرة العبادة، بصورها وأشكالها المتنوعة، من الصلاة وسننها، والقيام والتهجد، وصيام النافلة، وقراءة القرآن، والذكر والاستغفار، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٨٧/٣ إسناده حسن، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤٥٩) وقال حسن، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ (١).

وهذا ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ خادم رسول الله ﷺ قال له النبي ﷺ: **"سلني؟ فقال أسألك مرافقتك في الجنة، فقال أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك، قال: فأعنى على نفسك بكثرة السجود"** (٢).

قال أبو الدرداء ﷺ: (لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا: الظمأ لله بالهواجر، أي الصيام في الصيف، والسجود لله في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر).

فالإنسان يحب الراحة والنوم ليلا، لكن كثرة الصلاة بالليل، مجاهدة للنفس في مرضاة الله، تضمن للعبد الراحة الدائمة ومرافقة النبي ﷺ في الجنة.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على إصلاح أنفسنا،

وأن ينصرنا على أعدائنا.

❁❁❁

(١) سورة المزمل الآيات (١-٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٨٩) عن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ.

(٥٥) المراقبة.

١-معنى المراقبة.

٢-فائدتها.

٣-أنواعها.

٤-نماذج من المراقبة.

❁❁❁

١-**معنى المراقبة**: أن يستشعر المسلم مراقبة الله ﷻ في كل وقت وحين، وأنه مطلع عليه في جميع أمور حياته، بالليل والنهار، في السر والعلانية، في الحضر والسفر، مع الناس ومن وراء الناس، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾[٢].

فالله يراقب ظاهر العبد وباطنه، سره وعلانيته، حتى ما تخفيه الصدور والعقول والنوايا من أفكار، لم تخرج إلى الوجود ليعملها. وقال ﷺ: **"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"** [٣].

٢-فائدة المراقبة:

١- أنها تجعل العبد يستحيي من الله ﷻ فلا يقع في ذنب أومعصية.

٢- أنها تكسبه قوة الإيمان، حيث يراقب الله الخالق، ولا يراقب البشر المخلوقين.

---

(١) سورة النساء الآية (١).

(٢) سورة غافر الآية (١٩).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٧٧٧) عن أبي هريرة ﷺ.

٣- أنها تثمر الطمأنينة، والسكينة النفسية، والسعادة الحقيقية، حيث إن المسلم يكون ظاهره كباطنه، فلا يشعر بالتناقض الداخلي، أو انفصام الشخصية.

❁❁❁

٣-أنواع المراقبة:

١- **رقابة الله**: إن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، تربى المسلم دائما وأبدا على استشعار مراقبة الله ﷻ في كل أعماله الدينية والدنيوية، فيستشعر معية الله ﷻ في كل أحواله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[١].

٢- **رقابة الملائكة**: فهي تراقب العبد وتسجل عليه أعماله وكلماته، فهي تلازمه في كل مكان يمشى إليه، ومن ثم يجب عليه أن يستحيى منها، فلا يقع في مخالفة شرعية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[٣].

٣- **رقابة الجوارح**: جوارح الإنسان تشهد عليه مثل أذنه، وعينه، ولسانه، ويده، ورجله، فتشهد عليه هذه الجوارح في كل ذنب وقع فيه الإنسان، وما أخطرها من شهادة، لأنها شهاة من أعضائه وجوارحه، التي هي جزء منه، فلا يستطيع الإنكار، كما أن

---

(١) سورة المجادلة الآية (٧).

(٢) سورة ق الآيتان (١٧-١٨).

(٣) سورة الانفطار الآيات (١٠-١٢).

العذاب يقع عليها، وهو الذي يشعر في النهاية بالألم والمعاناة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٢].

٤- **رقابة الأرض**: وهناك رقابة من الأرض على الناس جميعا، فهي تشهد على كل إنسان بما عمل من خير أو شر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾[٣].

وفي الحديث قال ﷺ: **"أتدرون ما أخبارها؟ أن تشهد على كل عبد وأمة، تقول فعل كذا يوم كذا"** [٤].

❁❁❁

٤- نماذج من مراقبة الصالحين:

كان ابن عمر ﷺ يسير في طريق، وانحدر من الجبل، فوجد عبدا يرعى الغنم، فقال له مختبرا: بعنى شاة منها؟ فقال: إنى مملوك، فقال: قل لسيدك إن الذئب أكلها، قال فأين الله؟ فاشتراه ابن عمر ﷺ وأعتقه، وقال لقد اعتقتك هذه الكلمة في الدنيا، وأرجو من الله أن يعتقك بها في الآخرة.

---

(١) سورة فصلت الآية(٢٠).

(٢) سورة يس الآية (٦٥).

(٣) سورة الزلزلة الآيات (٤- ٦).

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤٢٩) وقال: حسن غريب، عن أبي هريرة ﷺ.

وفي خلافة سيدنا عمر ﷺ خرج يعس في المدينة، فسمع أما تقول لابنتها: قومى إلى اللبن فاخلطيه بالماء، فقالت الفتاه: إن أمير المؤمنين عمر نهي عن ذلك، فقالت الأم: إن أمير المؤمنين لا يرانا، قالت الفتاه: لكن الله يرانا، فأعجب بها أمير المؤمنين ﷺ وزوجها لأحد أبنائه، وكان من نسلها، الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنهم أجمعين-.

ذهب أبو هريرة ﷺ إلى السوق، فوجد بائعا خلط اللبن بالماء، فقال له: ماذا تقول لربك يوم القيامة إذا قال لك خلص اللبن من الماء؟. أي افصل اللبن عن الماء، فبكى الرجل، وقال لن أعود إليها مرة أخرى.

لقد استخدم أبو هريرة ﷺ أحسن وسيلة على الإطلاق في علاج المخطئين، فلم يضربه، ولم يسجنه، ولم يغرمه مالا، وإنما أحيا فيه المراقبة الذاتية لله، التي من شأنها أن تصلح حال الفرد والمجتمع، لأنها تجعل الإنسان لا يتعامل مع البشر، وإنما يتعامل مع الله ﷻ الذي يعلم السر وأخفى، ولقد نجح نجاحا عظيما، حيث حقق الهدف، وانتج الثمرة المطلوبة في الحال، وتاب الرجل وأناب، وعزم على أن لا يعود إلى معصيته مرة أخرى.

إِذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَوماً فَلا تَقُل ∴ خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ

وَلا تَحسَبَنَّ اللهَ يُغفِلُ ما مَضى ∴ وَلا أَنَّ ما يَخفى عَلَيهِ يَغيبُ

لَهَونا لَعَمرُ اللهَ حَتّى تَتابَعَت ∴ ذُنوبٌ عَلى آثارِهِنَّ ذُنوبُ

فَيا لَيتَ أَنَّ اللهَ يَغفِرُ ما مَضى ∴ وَيَأذَنُ في تَوباتِنا فَنَتوبُ.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المجاهدين لأنفسهم.

المراقبين له ﷻ في جميع أوقاتهم.

❁❁❁

(٥٦) المحاسبة.

١- معنى المحاسبة.

٢- أهمية المحاسبة.

٣-كيفية المحاسبة.

٤-المحاسبة أدب قرآني.

٥-نماذج من صور سلفنا الصالح في المحاسبة.

❁❁❁

1-معنى المحاسبة: أن يحاسب الإنسان نفسه على جميع حركاته وسكناته، حتى لا تطول فترة الغفلة، أو يتمادى في المعصية، أو يصل إلى قسوة القلب، ومرض النفس، ونحن نرى المحاسبة في الأمور المادية الدنيوية، كما يفعل التجار مع شركائهم في آخر اليوم، أو الشهر، أو العام، ليحصوا المكسب أو الخسارة.

❁❁❁

٢-أهمية المحاسبة: في آخر كل عام هجري أو ميلادي، يستحب للمسلم أن يحاسب نفسه على كل ما قدم خلال العام، فالمحاسبة وسيلة من وسائل التربية الإسلامية لإصلاح النفس، وتهذيبها وتقويمها، بها يحصى الإنسان أخطاءه ومعاصيه، ويقف على حال نفسه من الصحة والمرض، فيرشدها إلى طريق الفلاح، ويبعدها عن طريق الهلاك.

❁❁❁

٣-**كيفية المحاسبة**: والمسلم الناصح هو الذي يحاسب نفسه في الدنيا، فينظر إلى رأس ماله، وإلى الربح والخسران، ليتبين له الزيادة من النقصان، فرأس المال في دينة الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وموسم التجارة جملة الليل والنهار.

وعلى المسلم أن يكون له ساعة في آخر النهار، يحاسب فيها نفسه على كل شيء، حتى الأمور اليسيرة التي يظنها أمرا عاديا لهي موضع مساءلة إذا ما قصر فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾[1].

وعلى المسلم أن يطالب نفسه بتصحيح الجواب، عن جميع ما تكلم به، طول النهار، ويتكلف حساب نفسه في الدنيا، قبل أن يتولاه غيره في صعيد يوم القيامة.

والقرآن الكريم أرشد المسلم إلى أن كل شيء مسجل عليه، ويكون موضع محاسبة من الله ﷻ فلا بد أن يستعد لذلك من الآن، وفي الدنيا قبل الآخرة.

❁❁❁

٤- **المحاسبة أدب قرآني**: أشار إليها في آيات عديدة منها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[2]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾[3].

---

(١) سورة النساء الآية (٨٦).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٤٧).

(٣) سورة المجادلة الآية (٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[١].

ولقمان عليه السلام كان يربي ولده على المراقبة والمحاسبة، فقال له كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦ ﴾[٢].

فالعاقل هو الذي علم وتيقن أن الله عز وجل له بالمرصاد، وأنه هو الذي سيناقشه الحساب، وسيطالبه بمثاقيل الذر، من الخطرات واللحظات، ولا ينجيه من هذه الأخطار، إلا لزوم المحاسبة على الأنفاس والحركات والسكنات.

❁❁❁

٥-نماذج من صور سلفنا الصالح في المحاسبة:

١-قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وإنما خف الحساب يوم القيامة، على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا).

وكان يقول: (لا يكون العبد من المتقين، حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل).

فكان إذا جن الليل يضرب قدمه بالدرة ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم؟.

---

(١) سورة الزلزلة الآيتان (٧-٨).

(٢) سورة لقمان الآية (١٦).

٢-كان الأحنف بن قيس ﷺ يجئ إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار، ثم يقول لنفسه يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟.

٣-وعن عائشة ﷺ قالت: (إن أبا بكر ﷺ قال لها عند الموت: ما أحد من الناس أحب إلى من عمر ﷺ ثم قال لها: كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قال، فقال: لا أحد أعز على من عمر، لقد تدبر الكلمة بعد الفراغ منها، فأبدلها بكلمة غيرها.

٤- وهذا أبو طلحة ﷺ شغله الحائط في صلاته، فتدبر ذلك، فجعل حائطه صدقة لله ﷻ ندما ورجاءً للعوض مما فاته، وهل يفعل ذلك إلا من حاسب نفسه على النقير والقطمير؟.

٥-قال الحسن البصري ﷺ: (المؤمن قوام على نفسه، يحاسبها لله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة، على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة).

٦-قيل كان (ابن الصمة ﷺ) محاسبا لنفسه، فحسب يوما هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم (٢١٥٠٠) فصرخ وقال: يا وليتنا! ألقى الملك بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب؟!! كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب!! ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلا يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى!!.

حاسبت نفسي فلم أجد لي صالحا ∴ إلا رجاءي رحمة الرحمن

ووزنت أعمالي فلم أجد ∴ في الأمر إلا خفة الميزان.

فإن الإنسان لو رمى بكل معصية حجرا في داره، لامتلأت داره في مدة يسيرة، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي وهي مثبتة عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (١).

نسأل الله ﷻ أن يخفف عنا الحساب يوم القيامة.

وأن يجعلنا من الذين يحاسبون أنفسهم في الدنيا،

قبل أن يحاسبوا عليها في الآخرة.

❁❁❁

(١) سورة المجادلة الآيتان (٦-٧).

(٥٧) نحو إصلاح القلب جـ١.

١ - تعريف القلب وأهميته.

٢ - لماذا نركز على إصلاح القلب.

٣-أقسام القلوب: قلب المؤمن – قلب الكافر – قلب المنافق-.

٤-العلاقة بين سلامة القلب والإيمان.

❁❁❁

١ - تعريف القلب وأهميته.

١ - **القلب**: هو عمق الشئ، أو هو ما يدل على خالص الشئ وشريفه، وليس المقصود بالقلب هنا العضلة الصنوبرية التي في داخل الصدر، وإنما المقصود موضع الفقه والفهم عن الله ﷻ.

فالقلب: أخلص شئ في الإنسان، وأشرفه، وأرفعه، وهو ملك الأعضاء، والباقى جنود له، فإذا كانت حركة الجسد والأعضاء تابعة لحركة القلب، فلا يملكون مخالفته، فإذا صلح القلب، صلحت حركة الجسد كله، والعكس، فإذا كان الملك صالحا، كانت الجنود صالحة، والعكس.

قال بعض العلماء: القلب مقر الإيمان، والصدر محل الإسلام، والفؤاد مشرق المشاهدات، واللب مقام التوحيد الحقيقى، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

(١) سورة ق الآية (٣٧).

هل من المعقول أن تحمل قلبا، وأنت لا تعرف أصحيح هو أم مريض؟ حي أم ميت؟.

❁❁❁

٢- لماذا التركيز على إصلاح القلب:

(١) **لأنه أشرف ما في الإنسان**، والقيم على الجوارح، وبصلاحه تنصلح الأعمال، وبفساده تفسد الأعمال، وفي الحديث قال ﷺ: **"ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"** (١).

وهذا لقمان عليه السلام ذبح شاة، وقال له سيده ائتنى بأطيب ما فيها؟ فأتاه بالقلب واللسان، ثم ذبح أخرى، فقال سيده: ائتنى بأخبث ما فيها؟ فأتاه بالقلب واللسان.

فقال له سيده: سألتك عن أطيب ما فيها، فجئتني بالقلب واللسان، ثم سألتك عن أخبث ما فيها، فجئتني بالقلب واللسان، فقال له: القلب واللسان، إذا صلحا صلحت باقى الأعضاء، والعكس صحيح.

(٢) **ولأنه موضع نظر الله من العبد**، فهو عز وجل ينظر إلى أشرف ما في الإنسان، وفي الحديث قال ﷺ: **"إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم التي في صدوركم"** (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٢) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٦٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **ولأنه مصدر الفقه عن الله**، والإنسان يفقه بعقله، وموضع التفقه والتعقل في القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[٢].

(٤) **ولأن سلامته من أسباب النجاة في الآخرة**، فلا يسلم من أهوال يوم القيامة، إلا صاحب القلب السليم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[٣]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[٤].

(٥) **ولأن القلب موضع تغير وتقلب**، فلا يستقر على حالة واحدة، ما لم يكن صاحبه في مجاهدة مستمرة لتقلبات القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ

(١) سورة الحج الآية (٤٦).
(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٩).
(٣) سورة الشعراء الآيتان (٨٨-٨٩).
(٤) سورة ق الآيتان (٣٢-٣٣).

تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[٢].

فالقلب يتقلب ويتحول بين الخير والشر، والإيمان والكفر، والشك واليقين.

ما سمى القلب قلبا إلا من تقلبه .·. فاحذر على القلب من قلب وتحويل.

وكان ﷺ يقسم فيقول: **"لا ومقلب القلوب"** [٣].

ومن أدعية الرسول ﷺ: **"اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك"** [٤].

فقالت أُمُّ سلمة ﵂ يا رسُولَ الله: ما لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ؟ قالَ:" **يا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وقَلْبُهُ بينَ أُصْبُعَيْنِ مِن أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**" [٥].

وفي الحديث قال ﷺ: **"إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بينَ إِصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»**، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا علَى طاعَتِكَ"** [٦].

---

(١) سورة الأنفال الآية (٢٤).

(٢) سورة الأنعام الآية (١١٠).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٦١٧) عن ابن عمر ﵄.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٥٢٢) وقال: حديث حسن، عن أم سلمة ﵂.

(٥) الحديث أخرجه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٧٩ إسناده حسن، عن أم سلمة ﵂.

(٦) الحديث أخرجه الإمام (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو ﵄.

وفي الحديث قال ﷺ: **"تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ، كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"** (١).

فالقلوب تتقلب على الحقيقة، وهي بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وتعرض عليها الفتن ليلا ونهارا، فعلى حسب الإيمان الراسخ وعدمه، تقبل الفتن أو ترفضها.

❁❁❁

٣-أقسام القلوب ثلاثة: قلب المؤمن – قلب الكافر – قلب المنافق-.

درجات الناس تتفاوت في الحياة، من حيث الإيمان والنفاق والكفر، ومرد ذلك يرجع إلى القلوب، فالناس أشكال وأصناف وألوان، حتى في دائرة الإسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾(٢).

(١) الحديث أخرجه الإمام (١٤٤) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) سورة فاطر الآية (٣٢).

وأما من خرج عن الإسلام والتوحيد، إلى النفاق والكفر، فقد أنزل الله في القرآن في بيان شأنهم آيات كثيرة.

١- القلب الأجرد أو السليم، وهو قلب المؤمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾[١].

والقلب السليم الذي سلم من الكفر، والنفاق، والشك، والحقد، والحسد، والبغضاء، والشحناء، وقد سئل النبي ﷺ من أفضل الناس؟ فقال: **"كل صدوق اللسان مخموم القلب، فقالوا صدوق اللسان نعرفه، فما هو مخموم القلب، قال هو التقي النقي الذي لا غل ولا حقد في قلبه"** [٢].

فأفضل الناس عند الله هو صاحب القلب السليم، الذي لا يحمل أي أذى للمسلمين جميعا، إنه الإيمان الصادق الذي قذفه الله في قلبه، لما وجد فيه من الصدق والتجرد والعمل للدين.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد) [٣].

---

(١) سورة الصافات الآية (٨٣-٨٤).

(٢) الحديث ذكره المنذري الترغيب والترهيب ٣٣/٤ وقال إسناده صحيح، عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه.

(٣) الطرق الحكمية لابن القيم صـ٨١.

فأفضل القلوب بعد قلب النبيﷺ هي قلوب الصحابة على الإطلاق، لذلك اختارها الله لتكون في صحبة النبيﷺ.

وفي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: " كُنَّا جُلوسًا عندَ رَسولِ اللهِ ﷺفقال: يَطلُعُ عليكمُ الآنَ من هذا الفَجِّ رجُلٌ من أهلِ الجنَّةِ. قال: فطلَعَ رجُلٌ مِنَ الأنصارِ تَنطِفُ لِحيَتُه مِن وُضوئِه، قد علَّقَ نَعلَه في يَدِه الشِّمالِ، فسلَّمَ، فلمَّا كان مِنَ الغَدِ، قال النَّبِيُّ ﷺ مِثلَ ذلك: فطلَعَ ذلك الرَّجُلُ مِثلَ مَرَّتِه الأُولى، فلمَّا كان اليومُ الثالثُ قال النَّبِيُّ ﷺ مِثلَ مَقالتِه أيضًا: فطلَعَ ذلك الرَّجُلُ على مِثلِ حالِه الأُولى، فلمَّا قام النَّبِيُّ ﷺتَبِعَه عبدُ اللهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ، قال: إنِّي لاحَيتُ أبي، فأقسَمتُ ألَّا أدخُلَ عليه ثلاثًا، فإنْ رأيتَ أنْ تُؤوِيَني إليكَ حتى تَنقَضيَ الثلاثةُ، فعلتَ. قال: نَعَمْ. قال أنَسٌ: فكان عبدُ اللهِ يُحدِّثُ أنَّه باتَ معَه ثلاثَ ليالٍ، قال: فلم يَرَه يَقومُ مِنَ الليلِ شيئًا، غيرَ أنَّه إذا تَعارَّ منَ الليلِ، وتقلَّبَ على فِراشِه، ذكَرَ اللهَ، وكبَّرَ حتى يَقومَ لِصلاةِ الفَجرِ، غيرَ أنَّه لا يقولُ إلَّا خَيرًا. قال: فلَمَّا مضَتِ الثلاثُ ليالٍ، وكِدتُ أحتَقِرُ عَمَلَه، قلتُ: يا عبدَ اللهِ، إنَّه لم يكُنْ بَيني وبينَ والدي غَضَبٌ، ولا هَجرٌ، ولكنْ سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: يَطلُعُ عليكمُ الآنَ رجُلٌ مِن أهلِ الجنَّةِ، فطلَعتَ أنتَ الثلاثَ مرَّاتٍ، فأردتُ أنْ آويَ إليكَ لِأنظُرَ ما عَمَلُكَ، فلم أرَكَ تَعمَلُ كثيرَ عَملٍ، فما الذي بلَغَ بكَ ما قال رَسولُ اللهِ ﷺ؟ فقال: ما هو إلَّا ما رأيتَ. قال: فانصرَفتُ عنه، فلمَّا ولَّيتُ دَعاني، فقال: ما هو إلَّا ما رأيتَ، غيرَ أنِّي لا أجِدُ في نَفْسي على أحَدٍ مِنَ المُسلِمينَ غِشًّا، ولا أحسُدُه على خَيرٍ أعطاه اللهُ إيَّاه، فقال عبدُ اللهِ: فهذه التي بلَغَتْ

بكَ، وهي التي لا تُطاقُ"[١]. والسر في ذلك أنه كان يحمل قلبا سليما يبيت على فراشه، ولا يحمل حقدا لواحد من المسلمين، فبشره النبي ﷺ بالجنة وهو يعيش في هذه الحياة الدنيا.

وفي الحديث قال ﷺ: **"القلوبُ أربعةٌ : فقلبٌ أجرَدُ فيه مثلُ السِّراجِ أزهرُ ؛ وذلك قلبُ المؤمنِ، وسراجُه فيه نورُه، وقلبٌ أغلَفُ مربوطٌ على غِلافِه؛ فذلك قلبُ الكافرِ، وقلبٌ منكوسٌ؛ وذلك قلبُ المنافقِ، عرف ثمَّ أنكر، وقلبٌ مُصفَّحٌ؛ وذلك قلبٌ فيه إيمانٌ ونفاقٌ، فمثلُ الإيمانِ فيه كمثلِ البَقْلةِ يمُدُّها ماءٌ طيِّبٌ، ومثلُ النِّفاقِ كمثلِ القُرحةِ يمُدُّها القيْحُ والدَّمُ، فأيُّ المادَّتَيْن غلبَتْ صاحبتَها غلبَتْ عليه"**[٢].

❁❁❁

٤-العلاقة بين سلامة القلب والإيمان، وبين سكينة النفس:

أن القلب السليم هو موضع الإيمان الصادق من الله ﷻ قال العلماء: الإيمان نور يقذفه الله في قلب من أحب من عباده. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[٣].

فالأعراب كان إسلامهم باللسان، ولم يذوقوا بعد حلاوة الإيمان، فعاتبهم الله ﷻ بأن يقولوا أسلمنا، ولا يقولوا آمنا، لأنهم لم يبلغوا هذه الدرجة الحقيقية من

(١) القصة ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٢/٨ إسناده صحيح، عن أنس بن مالك ﷺ.
(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١١٤٥) إسناده جيد أو حسن عن أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٣) سورة الحجرات الآية (١٤).

الإيـــمان. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[١].

هنا لما اطلع الله على قلوب الصحابة، ووجد فيها صدق الإيمان، والتضحية، كافأهم بنزول الطمأنينة، والسكينة، والنصر، والتمكين، والفتح المبين.

فهناك علاقة قوية بين الإيمان وسلامة القلب، وبين آثاره الربانية التي تعود على صاحبها بالنفع في الديا والخرة.

فأقوى ما في الكون قلب المؤمن، وفي الحديث قال ﷺ: **"لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتكفأ، فأرساها بالجبال فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال؟ فقالت: يا ربنا هل خلقت أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالوا فهل خلقت خلقا أشد من الحديد؟ قال النار، قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من النار؟ قال: الماء. قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الماء؟ قال: الريح قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الريح؟ قال: قلب ابن آدم، إذا تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه"** [٢].

ومن النماذج القوية على الإيمان الصادق، وآثاره في الدنيا والآخرة، أنه يصنع المستحيل، ولا يبالى بالصعاب (سحرة فرعون) كانوا في أول النهار كفارا أشرارا،

---

(١) سورة الفتح الآية (١٨).

(٢) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٦٨/٢. لا يتطرق إليه احتمال التحسين، وأخرجه الإمام الترمذي (٣٣٦٩) وقال حسن غريب، لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، عن أنس بن مالك ﷺ.

جاءوا من أجل المال، والعطاء، والمنصب، فلما اكتشفوا الحقيقة، دخلوا في الإسلام، ولم يبالوا بتهديدات فرعون ووعيده، وأمسوا في آخر النهار شهداء بررة، وقالوا ما حكاه القرآن الكريم عنهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

وهذا ربعي بن عامر، يحمل قلبا قويا مفعما بالإيمان، لا يهاب أحدا من البشر، يدخل على رستم قائد الفرس ويخاطبه بقوة المؤمن وعزة المجاهد، فقالوا له: (ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سعَتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإِسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه؛ فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضيَ إلى موعود الله، قالوا: وما موعودُ الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي).

وفي النهاية، ليكن المسلم حريصا على قلبه، أن يكون لله وحده، وأن يطلع الله عليه فلا يجد فيه أحدا سواه، لأن القلب لا بد له من ساكن، إما أن يسكنه الرحمن، وإما أن يسكنه الشيطان، فاختر لقلبك إما أن يكون من أولياء الرحمن، أو من أولياء الشيطان. **نسأل الله ﷻ أن يصلح قلوبنا، وأن يرزقنا سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وأن يثبت قلوبنا على الإيمان والتوحيد لله ﷻ.**

❁❁❁

(١) سورة طه الآيتان (٧٢-٧٣).

(٥٨) نحو إصلاح القلب (جـ٢).

١- طبيعة قلب الكافر.

٢-طبيعة قلب المنافق.

٣-بعض الأمور التي تؤدى إلى قسوة القلب.

٤-من وسائل العلاج لإصلاح القلب.

❁❁❁

١-**قلب الكافر**: قلب أغلف مربوط على غلافه، أي قلب مغلق فلا يستمع للحق، ولا يقبل الهداية، لذلك قال الله تعالي في وصفه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾[١].

ولا شك أن الكفر يصنع غطاءً على القلب، فلا يستطيع الفهم الصحيح لأمور الدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾[٢].

وإذا علم شيئا فهو يعلم الأمور المادية الظاهرة، ويجهل بواطن الأمور وحقائقها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة الآية (٦-٧).

(٢) سورة فصلت الآية (٥).

(٣) سورة الروم الآية (٧).

وبسبب تراكم الذنوب والمعاصي على القلب، صنعت طبقة من الصدأ، الذي لا يجلوه إلا الإيمان الصادق بالله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[١]. إن المقدمة مرتبطة بالنتيجة، في الخير والشر، والإيمان والكفر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾[٣].

فالختم والطبع والأكنة، كلها نتيجة لإغلاق القلب عن سماع الحق، والتكبر والإعراض عن طلب الهداية.

❁❁❁

٢-قلب المنافق:

لقد أجمل الله ﷻ في وصف الكافرين في آيتين لوضوحهم، وفصل في المنافقين في ثلاث عشرة آية لخطورتهم، لأن أمرهم يشتبه على كثير من الناس، فالمنافق هو الذي يظهر خلاف ما يبطن، فيظهر الإسلام ويبطن الكفر، ويقول بلسانه خلاف ما يضمر في قلبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة المطففين الآية (١٤).

(٢) سورة الصف الآية (٥).

(٣) سورة النساء الآية (١٥٥).

(٤) سورة البقرة الآية (٨-١٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[٢].

فقلب المنافق المريض، ينعكس على سلوك صاحبه في القلق، والاضطراب، والحيرة، وغياب الطمأنينة والسكينة، فلا يشعر بالراحة، أو السعادة.

وينقسم النفاق إلى قسمين:

(١) نفاق اعتقادى وهو يخلد صاحبه في النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[٣].

(٢) نفاق عملى وهو من أكبر الذنوب قال ﷺ: **"آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"** [٤].

فقد يكون أحد الناس يحمل صفة، أو صفتين، أو صفات من النفاق، فهو على خطر عظيم إذا لم يتب من هذه الأخلاق المريضة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾[٥].

❁❁❁

(١) سورة الفتح الآية (١١).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٠٤-٤٠٦).
(٣) سورة النساء الآية (١٤٥).
(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٩) عن أبي هريرة ﷺ.
(٥) سورة النساء الآية (١٤٦).

ومن الأمور التي تؤدى إلى قسوة القلب ما يأتي:

١- كثرة الذنوب والمعاصي، حيث تكون سموما قاتلة تقتل الإيمان، وتجلب القسوة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

قال عبد الله بن مبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ∴ وقد يورث الذل إدمانها.

وترك الذنوب حياة القلوب ∴ فخير لنفسك عصيانها.

٢- كثرة الكلام، والإسراف في الطعام، وكثرة المنام، والمخالطة للأنام:

فالشيء إذا زاد عن حده، انقلب إلى ضده، فكثرة هذه المباحات تؤدى إلى قسوة القلب، والمطلوب الاعتدال والتوسط في كل شئ.

٤- لا ينصلح حال القلب إلا بأمرين: التخلية، والتحلية:

أولا: التخلية: أي تخلية القلب من كل العوائق، التي تقف في طريقه إلى الله ﷻ مثل الأمور السابقة.

ثانيا: التحلية: أي تحلية القلب بالعمل الصالح، الذي يؤدى إلى سلامته وصلاحه وخشوعه لله ﷻ.

❁❁❁

(١) سورة المطففين الآية (١٤).

٤- من وسائل العلاج لإصلاح القلب ما يأتى:

١- الدعاء: أن يتوجه العبد إلى الله ﷻ بالدعاء، والمواظبة عليه، فيسأله إصلاح قلبه، وأن يجعله قلبا نظيفا سليما، خاليا من أمراض الحقد، والحسد، والطمع، والجشع.

ومن أدعية القرآن الكريم التي يرددها المسلم في صلاته، عدم زيغان القلب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[١].

فدائما يطلب المسلم العون من الله ﷻ في إصلاح كل أموره، من منطلق قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[٢].

٢- مداومة الذكر والاستغفار: حيث ينتقل الذكر من اللسان إلى القلب، فيكسبه طمأنينة وسكينة، ويشعر العبد بالراحة النفسية، والسعادة الداخلية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨).

(٢) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٣) سورة الرعد الآية (٢٨).

(٤) سورة الأنفال الآيات (٢-٤).

٣- قراءة القرآن: حيث تنعكس هذه القراءة على القلب، فتزيل عنه الران، والصدأ الذي يعلوه، فيتوجه القلب كله إلى الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[٢].

٤- تذكر الموت والدار الآخرة: فتذكر العبد للموت والدار الآخرة، يجعله زاهدا في الدنيا، قانعا بما أعطاه الله من مال ورزق، فيجعل همه في مرضاة الله، فيجمع الله عليه شمله، وفي الحديث قال ﷺ: **"من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة"** [٣].

٥- القناعة والرضا بما قسم الله: وعدم النظر إلى ما في أيدى الآخرين، فإذا أراد العبد الخير لنفسه، فلا يتطلع إلى ما في أيدى الآخرين من نعم الله عليهم.

ففي أمور الدين، عليه أن ينظر إلى من هو أعلى منه، وفي أمور الدنيا، عليه أن ينظر إلى من هو أقل منه، وإذا رأيت أخاك في نعمة، فلا تتمن زوالها عنه، أو تحاربه في زوالها، وإنما قل اللهم: (اجعل لى مثل أخى وزده).

---

(١) سورة الحديد الآية (١٦).

(٢) سورة الزمر الآية (٢٣).

(٣) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ١٣١ وقال الألباني صحيح لغيره، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وفي الحديث قال ﷺ: **"ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس"** (١).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس"**(٢).

وفي النهاية، إن علامة القلب السليم هو تعظيم الله، وشعائره، وعبادته، والتمسك بالحلال، والبعد عن الحرام، وعن كل ما يغضب الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أصحاب القلوب السليمة المستقيمة،

التي تعظم شعائر الله ﷻ في السر والعلن.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٣٠٥) حسنه الألباني لشواهده، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٤٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) سورة الحج الآية (٣٢).

(٥٩) دروس من رحلة الإسراء والمعراج.

١- حالة مكة قبل رحلة الإسراء والمعراج.

٢- وصف لأحداث الرحلة والدروس المستفادة منها.

❁❁❁

١- حالة مكة قبل رحلة الإسراء والمعراج.

١- عرض النبي ﷺ نفسه على ما يزيد على عشرين قبيلة، يدعوهم إلى الإسلام، فما آمن به إلا غلام نصراني واحد، يسمى عداس، وأعرضت جميع القبائل عنه، وأغرت به سفهاءهم، فقذفوه بالحجارة حتى أدميت قدماه، وعاد مطرودا إلى مكة، حيث دخلها في جوار رجل مشرك هو المطعم بن عدى، وحزن النبي ﷺ لهذا الإعراض، ورفض أن يدعو عليهم بالهلاك، بل دعا لهم بالهداية فكان ﷺ رحمة للعالمين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[1].

٢- سرى الله عن نبيه ﷺ هذا الحزن الذي أصابه من إعراض القبائل عنه، فأرسل له طائفة من الجن، استمعت للقرآن، فآمنت به، وأيدت دعوته ﷺ وحملوا هذه الرسالة إلى قومهم لينذروهم بها، فكانوا أحسن قبولا وإجابة من الإنس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠٧).

(٢) سورة الجن الآيتان (١-٢).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

فكأنها رسالة من الله لنبيه تقول: إذا كان الإنس كذبوك، فإن الجن قد صدقوك، وإذا كان أهل الأرض طردوك، فإن أهل السماء استقبلوك، وإذا كان بعض البشر آذوك، فإن الله ﷻ كرمك باستقبال الملائكة والأنبياء في السماء.

فهل نحن حملنا الرسالة وبلغناها مثل الجن؟ والنبي ﷺ مدحهم فقال: **"إنهم كانوا أحسن منكم جوابا، حينما سمعوا قوله تعَالَىٰ: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ﴾[2]. قالوا ولا بشيء من آلائك نكذب يا ربنا"**[3].

❁❁❁

٢- وصف لأحداث الرحلة الدروس المستفادة منها:

٣- بدأت الرحلة من المسجد الحرام بمكة، لبيان أهمية هذا المسجد في الإسلام، فهو أول بيت وضع للناس، بنته الملائكة، ورفع قواعده إبراهيم وإسماعيل، يطوف

---

(١) سورة الأحقاف الآيات (٢٩-٣٢).

(٢) سورة الرحمن الآية (١٦).

(٣) الحديث ذكره الإمام السيوطي في الدر المنثور (١٠١/١٤) إسناده صحيح، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

حوله البشر بالليل والنهار، فإذا توقف البشر طافت الملائكة، فبيت الله الحرام وهو الكعبة يعلم المسلمين التوحيد الخالص لله ﷻ والوحدة والترابط فيما بينهم، لأنه يربطهم بالله الواحد الأحد، ويتجهون إليه جميعا من أي مكان في العالم للصلاة، فهو نقطة الدائرة لأي مسلم في العالم.

٤- كانت الرحلة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، إشارة إلى انتقال القيادة والريادة من أمة اليهود، الذين عاثوا في الأرض فسادا، فلم يعودوا يصلحون لقيادة البشرية، إلى أمة جديدة، صاحبة رسالة وهداية، هي أمة خاتم النبيين ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[1].

٥- أرض فلسطين وما حولها أرض مباركة، بركة حسية ومعنوية، فيها بيت المقدس، أولى القبلتين، وثالث المساجد التي تشد الرحال إليها، ومسرى رسول الله ﷺ عاش هناك أغلب الأنبياء، ودفن هناك إبراهيم، ولوط، ويعقوب، ويحيى، وزكريا عليهم السلام.

لقد مدحها الله في القرآن الكريم في خمسة مواضع، وهي أرض إسلامية صرفة، ليست ملكا لحاكم ولا لشعب، وإنما هي ملك للإسلام والمسلمين في كل مكان، وهذا يبين واجبنا نحوها، ونحو أهلها، والمقدسات التي على أرضها.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠).

وفي الحديث قال ﷺ: **"لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك"** (١).

وفي رواية: **"قيل أين هم يا رسول الله؟ قال في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس"**. وكل البلاد الإسلامية التي تحيط بأرض فلسطين، مثل مصر، وسوريا، والأردن، ولبنان، من أكناف بيت المقدس.

٦- شرب النبي ﷺ اللبن بدلا من الماء والخمر، إشارة إلى أن النبي ﷺ اختار الفطرة، وهي التي يولد الناس عليها، وقال جبريل عليه السلام (هديت إلى الفطرة) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢).

ونتعلم أن سريرة المسلم، يجب أن تكون بيضاء نقية مثل اللبن، فلا يضمر شرا، ولا يعرف حقدا، ولا يظهر خلاف ما يبطن، وإنما باطنه أفضل من ظاهره.

٧- إمامة النبي ﷺ للأنبياء والمرسلين السابقين في بيت المقدس، إشارة إلى مكانة النبي ﷺ عند ربه، حيث جعله إماما لجميع الأنبياء والمرسلين، وإشارة إلى وحدة الرسالات السابقة في المصدر والهدف والغاية، فمصدرها جميعا من الله، وهدفها تعبيد الناس إلى الله، وغايتها مرضاة الله ﷻ فالأنبياء جميعا أخوة فيما بينهم، كل واحد يؤدى دوره، ويأتي من بعده ليكمل الرسالة.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٤٦٠) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) سورة الروم الآية (٣٠).

وفي الحديث قال ﷺ: **"مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا موضع لبنة، فكان الناس يقولون: لولا هذه اللبنة، فأنا هذه اللبنة"** (١).

٨- المشاهد التي رآها النبي ﷺ في رحلة المعراج، إشارات إلى تحذير الأمة من هذه الانحرافات، حيث كانت العقوبات الشديدة المنفرة، فيحذر النبي ﷺ الأمة من هذه الآفات، مثل الربا، والزنا، والتبرج، وخطباء الفتنة، وأكل مال اليتيم، لأنها أمراض اجتماعية تدمر الأفراد والمجتمع.

فالربا: يجعل الغنى يمص دم الفقير، ويزداد بمال الفقير غنى، ويزداد الفقير فقرا وضعفا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ (٢).

والزنا يخلط الأنساب، ويفتح أبواب الشر والفساد، وينشر الأمراض والأوبئة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣).

وأكل مال اليتيم جريمة ظالمة، تجعل من الحارس لصا، ومن الراعي ذئبا، فمن أجل ذلك صوره القرآن بأنه يأكل نارا في بطنه.

---

(١) الحديث الإمام البخاري (٣٦٤١) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٧٥).

(٣) سورة الإسراء الآية (٣٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾[١].

٩- فرضت الصلاة في السماء، في رحلة المعراج، إشارة إلى أهمية الصلاة في الإسلام، حيث إنها أحد الأركان الخمسة، قال ﷺ فيها: **"العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"** [٢].

فالصلاة معراج للأرواح والنفوس، خمس مرات كل يوم في الأداء، وخمسون في الأجر والثواب عند الله ﷻ وإشارة إلى أن المسلم يسمو بنفسه وروحه فوق الشهوات والشبهات، ودائما يتطلع إلى المعالي، ويتعلق بالمثل الأعلى في كل شيء من قيم الحياة، فلا يرضي بالدون أو المؤخرة.

١٠- أيضا أهمية العبودية في الإسلام، فهي أعلى درجات العبادة،، حيث مدحها الله في كتابه، ووصف بها نبيه في مطلع سورة الإسراء، فهي أعلى مقاما، وأسمى مرتبة من غيرها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء الآية (١٠).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٦٢١) وقال صحيح غريب حسن. عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه.

(٣) سورة الإسراء الآية (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ (١).

وفي آخر سورة النحل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٢).

فبالتقوى والإحسان يصل الإنسان إلى مرتبة العبودية، التي هي من أعظم الصفات، وهي نهاية الخضوع، وقمة الشعور بعظمة الخالق ﷻ.

فالعبودية الصادقة لله وحدة، هي الطريق للتمكين لهذا الدين في الأرض، وهي الطريق لتحرير المقدسات، وتحقيق الأمنيات، ونيل الدرجات العلى في الدنيا والآخرة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣).

نسأل الله ﷻ أن يرد المسجد الأقصى إلى حظيرة الإسلام والمسلمين، وأن يجعلنا من المتخلقين بالتقوى، والعبودية الصادقة لله ﷻ.

❁❁❁

(١) سورة الإسراء الآية (٥).

(٢) سورة النحل الآية (١٢٨).

(٣) سورة النور الآية (٥٥).

(٦٠) لماذا الاهتمام بالمسجد الأقصى؟.
وما الطريق إلى عودته؟.

١- لماذا الاعتناء بالمسجد الأقصى؟.

٢- مكانة المسجد الأقصى وأهميته في الإسلام.

٣- الطريق إلى عودة المسجد الأقصى.

❁❁❁

١- لماذا الاعتناء بالمسجد الأقصى؟.

نعتني بالمسجد الأقصى: لمكانته الكبرى في العقيدة الإسلامية، ولقداسته في قلوب المسلمين، فهو جزء من عقيدتهم التي أشربوا حبها في قلوبهم منذ الصغر، فهو ليس مسجدا عاديا مثل باقي المساجد، وإنما له خصوصيته التاريخية المقدسة عند المسلمين منذ العصر النبوي، ويمكن إبراز أهميته في الإسلام من خلال هذه النقاط.

٢- مكانة المسجد الأقصى وأهميته في الإسلام.

١-المسجد الأقصى أولى القبلتين:

فحينما فرضت الصلاة في الإسلام، كان المسجد الأقصى هو قبلتهم الأولى، التي يتوجهون إليها في الصلوات الخمس لمدة ستة عشر شهرا.

ولما تحدث اليهود وقالوا: ما بال محمد يتبع قبلتنا ولا يتبع ديننا، أمر الله نبيه والصحابة بالتوجه نحو البيت الحرام، فحكى القرآن الكريم ما في طوية اليهود قبل

أن يخرج على ألسنتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

٢-المسجد الأقصى ثاني مسجد وضع على الأرض بعد المسجد الحرام: ففي الصحيحين عن أبي ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض؟ فقال: **"المسجد الحرام، فقلت ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال أربعون عاما، قلت ثم أي؟ قال ثم حيث أدركتك الصلاة فصل، فكلها مسجد"**[2].

فهذه الأقدمية لهذا المسجد لها أهميتها وقداستها ومكانتها في النفوس والقلوب، فكيف نسوى في الحب والمكانة بين مسجد بنى بعد المسجد الحرام، وكان قبلة للأنبياء والمرسلين، وتخلد ذكره في القرآن الكريم، وورد فيه أحاديث كثيرة عنه ﷺ وبين باقي المساجد التي لم تحظ بهذا الشرف، وتلك المنزلة والمكانة.

٣- المسجد الأقصى ثالث المساجد التي تشد الرحال إليها:

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا"**[3].

فلا يجوز لمسلم أن يشد رحاله قاصدا مسجدا بعينه للعبادة، والصلاة فيه، إلا هذه المساجد الثلاثة، التي وردت في الحديث، فالعبادة فيها ثوابها أعظم من غيرها، وهي مضاعفة في الحسنات قال ﷺ: **"الصَّلاةُ في المسجدِ الحرامِ بمائةِ ألفِ**

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٢).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٥٢٠). عن أبي ذر الغفاري ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١١٨٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

صلاةٍ، والصَّلاةُ في مسجدي بـألفِ صـلاةٍ، والصَّـلاةُ في بيـتِ المقـدسِ بخمسِـمائةِ صلاةٍ"[1].

٤- المسجد الأقصى مسرى النبي محمد ﷺ ومنطلق معراجه:

إن القرآن الكريم أشار في رحلة الإسراء إلى المسجد الأقصى؛ وذلك لربطه بأخيه المسجد الحرام، وجعلهما من شعائر الإسلام والمسلمين، فورد ذكرهما في آية واحدة في مطلع سورة الإسراء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[2].

فلا يستغنى أحد المسجدين عن الآخر، ومـن فـرط في أحـدهما يسـهل عليـه أن يضيع الآخر، ويفرط فيه، ومن ثم كـان اهـتمام النبـي ﷺ بتطهـير هـذه الأرض مـن قبضة الرومان، فكانت غزوة مؤتة، وتبـوك، إلى أن كـان الفـتح الإسـلامي في عهـد الخليفة العادل عمر بن الخطاب في سنة ١٥ هـ ومن يومها أصبحت الكلمة على هذا المسجد وما حوله للإسلام.

٥- المسلمون جميعا هم المسؤولون عن ضياعه، وهم المسؤولون عن عودته:

فلسطين جزء من العالم الإسلامي الكبير، الذي فتحه الصحابة والتابعون، فهـي أرض وقف للمسلمين جميعا، في مشارق الأرض ومغاربها.

---

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري ٢٠٥/٢ إسناده صحيح أو حسن، عن أبي الدرداء ﷺ.
(٢) سورة الإسراء الآية (١).

وإذا كان الأقصى يقع على تلك الأرض المباركة فهو ملك للمسلمين جميعا، فهو مثل الحرم المكي والمدني، إن كانا يقعان على أرض المملكة العربية السعودية، إلا أنهما ملك للأمة الإسلامية كلها، إذا أصابهما مكروه وجب الدفاع من كل مسلم أيا كان موقعه، أو مكانته، أو مسئوليته.

فالقدس ضاع بتفريط الأمة كلها، وسوف يعود -إن شاء الله- ﷻ بوحدة الأمة كلها، وتضافر جهودها، وليس بكفاح أهل فلسطين وحدهم.

فالمسجد الأقصى ربط أرض فلسطين بالأمة الإسلامية، فالدفاع عن المسجد الأقصى وأرض فلسطين، دفاع عن الإسلام، والإهمال في حقهما، إنما هو إهمال وتقصير في فهم المسلم، وتطبيقه لأمور دينه.

❁❁❁

٣-الطريق إلى عودة الأقصى:

١- إصلاح النفس.

٢- أن نعيش قضية القدس.

٣- التضحية في سبيله.

لا يغيب عن وعى كل مسلم مكانة القدس في قلوب المسلمين، فالقدس جزء من دينه وعقيدته، ولحمه ودمه، وجزء من تاريخه الماضي والحاضر.

والقدس ليست أرضا مقدسة خاصة بأهل فلسطين وحدهم، دون غيرهم من الناس، وإنما هي قضية كل مسلم، أيا كان موقعه ومكانته على الأرض.

❁❁❁

أولا إصلاح النفس:

لقد وضع الله ﷻ في كتابه الكريم قانونا من قوانينه، وسنة من سننه لا تتغير ولا تتبدل، أن إصلاح النفس يتبعه تغيير المجتمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾[1].

فلا تتغير النوازل والكروب التي حلت بالمجتمعات، حتى تتغير المعاصي والذنوب، التي وقعت من العباد، فلا تغيير من الله للمجتمع، إلا بعد تغيير نفوس أفراده وصلاحهم.

والمقصود بالتغيير والإصلاح المنشود، أن تصلح نفسك، وزوجتك، وأولادك، وأقاربك، وجيرانك وأصدقاءك، وزملاءك، ومرؤوسيك، فالفرد لبنة في الأسرة، والأسرة لبنة في المجتمع.

أن تغير من نمط حياتك الاستهلاكي، فلا تسرف ولا تبذر، ولا تتعود على وجود الكماليات في كل شؤون حياتك، بل أن تحيا حياة المجاهدين، في الطعام والشراب، والملبس، والمسكن، والعمل.

أن لا تتحكم فيك العادات التي تصبح أسيرا لها، مثل شرب الشاي، أو القهوة، أو المنبهات، أو المكيفات، فالأسير الحقيقي من أسره هواه، والحر من انتصر على شهواته، وإن قيدت يداه وقدماه.

❁❁❁

(١) سورة الرعد الآية (١١).

ثانيا أن نعيش قضية القدس:

وذلك بأن نتابع أخباره، وأن نعرف ما يكاد ويدبر له في الظلام، من مخططات لتدميره وهدمه، خاصة أنهم بدأوا في إقامة الأنفاق من تحته.

أن نعلق صورة القدس في بيوتنا، ومساجدنا، ومدارسنا، ومصانعنا، وشوارعنا، وأن نعرف المسلمين قيمة هذا المسجد، ومكانته في الإسلام.

أن نلح على الله ﷻ بالدعاء في صلاتنا، وفي خطبنا، ودروسنا، وفي ندواتنا، بحيث يصبح القدس هو الشغل الشاغل لكل مسلم، في نهاره وليله، وفي سفره وحضره.

أن تحكى لزوجتك وأولادك عن القدس وتاريخه، وقصة فتحه وتحريره، أن تحكى لهم أخلاق الخليفة عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح، وصلاح الدين الأيوبي، وسيف الدين قطز، وسير الصالحين في كل مكان وزمان، حتى نحظى بعون الله ﷻ وتوفيقه لنا كما أعانهم من قبل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1].

❁❁❁

ثالثا التضحية في سبيله:

إن كل عمل عظيم يحتاج إلى تضحيات عظيمة، وليس هناك أعظم من عودة المسجد الأقصى إلى مظلة الإسلام، ومن أبواب التضحية، التضحية بالنفس والمال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ

(١) سورة النحل الآية (١٢٨).

يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[1].

فالله ﷻ هو خالق النفوس، وهو رازق الأموال، فيشترى من عباده ما خلق وما رزق، ويعطيهم جنة هو المالك لها، فالمضحى هو الرابح أولا وأخيرا، وما عند الله لا يضيع أبدا، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ فلا نيأس وإن طال الطريق، ولا نقنط وإن قل الرفيق.

فإما حياة تسر الصديق ∴ وإما ممات يغيظ العدا.
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم ∴ فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى.
فتجشموا للمجد كل عظيمة ∴ إني رأيت المجد صعب المرتقي.
من رام وصل الشمس حال ∴ خيوطها سببا إلى آماله وتعلقا.

نسأل الله ﷻ أن يرد المسجد الأقصى إلى حظيرة الإسلام والمسلمين.

وأن يحفظه من كل مكروه وسوء.

❁❁❁

(١) سورة التوبة الآية (١١١).

(٦١) المسجد الأقصى إلى أين؟.

١- ماذا يراد بالمسجد الأقصى؟.

٢-ما واجبنا نحوه؟.

❁❁❁

١- ماذا يراد بالمسجد الأقصى؟.

١- المسلمون في أي مكان غالبا لا يعيشون بعيدا عن الواقع المعاصر، فكلنا يقرأ أو يسمع أو يشاهد الأخبار التي تتعلق بالمسجد الأقصى- الشريف، من مخططات عدوانية، لمحاولة هدمه وتهويده، فهو الآن يعيش في خطر شديد.

٢- والمسلمون في كل مكان -سواء كانوا في الشرق أو الغرب- جزء من المجتمع الذي نعيش فيه، وجزء من المجتمع المسلم الذي يعيش فينا، وكل مجتمع له علينا حقوق وواجبات، ومن ثم أود أن أبين واقع المسجد الأقصى- الشريف الآن، وواجبنا نحوه، على قدر الوسع والطاقة.

٣- المسجد الأقصى جزء من عقيدة المسلم، لأنه كان القبلة الأولى في الصلاة، ومسرى النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، والصلاة فيه تضاعف إلى خمسمائة صلاة، كما جاءت الأحاديث بذلك.

٤- الأرض التي عليها المسجد الأقصى- وحولها أرض مباركة، بركة حسية ومعنوية، وقد خلد الله ذكره، حينما ذكره في القرآن الكريم صراحة في مطلع سورة الإسراء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1].

٥ – ومدينة بيت المقدس، هي المدينة الوحيدة التي ذهب خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ﷺ ليتسلم مفاتيحها بيده، في العام الخامس عشر من الهجرة النبوية المباركة، وظلت أرضا إسلامية حتى احتلها الصليبيون في القرن الرابع الهجري لمدة إحدى وتسعين عاما، ثم حررها البطل صلاح الدين الأيوبي، وظلت تحت سيطرة المسلمين، حتى وقعت تحت الاحتلال سنة ١٩٦٧م وقام أحد الجنود المحتلين بحرق المسجد سنة ١٩٦٩م، وحتى الآن والمؤامرات مستمرة على المسجد والمدينة وأهلها.

٦ – والمسجد الأقصى يقع على أرض فلسطين، لكنه ليس ملكا لهم فقط، وإنما هو وما حوله أرض وقف، ملك للإسلام والمسلمين، لا يجوز التفريط فيها، والمسلمون جميعا مسئولون عنه أمام الله يوم القيامة.

٧ – لقد شاهدت في التلفاز سنة ١٩٩٠ م. رجلا مقدسيا مسنا فوق المائة، يقول ساومني المحتلون على أن أبيع لهم بيتي، فقالوا نعطيك مائة ألف؟ فقلت لا، فقالوا: خمسمائة ألف؟ فقلت لا، فقالوا: شيكا على بياض، تكتب ما تشاء؟ فقلت لا، ثم قال أستطيع أن أعطيكم بيتي مجانا بشرط واحد، وهو أن تأتوني بورقة يوقع عليها المسلمون في العالم أن أبيعكم بيتي، وأنا حينئذ أعطيه لكم مجانا، ثم بكى هذا الرجل

(١) سورة الإسراء الآية (١).

العجوز، وعندما يبكى الرجال فذلك هو القهر الحقيقي، الذي تعوذ منه النبي ﷺ حين قال: **"وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال"** [١]. وهذا هو قمة الظلم والطغيان.

الآن هناك مخططات خطيرة لهدم المسجد الأقصى وتهويده، منها:

١ - إخلاء المنازل التي تحيط بالمسجد الأقصى بالقوة، وطرد أصحابها منها.

٢ - هدم البيوت بحي سلوان والبستان، القريبين من الحرم القدسي الشريف بالقوة.

٣ - عدم منح تراخيص جديدة للبناء حول المسجد الأقصى، وكذلك عدم تجديد التراخيص المنتهية.

٤ - سحب الهويات من المقدسيين، وهم سكان مدينة القدس، من أجل ضياع حقوقهم المشروعة.

٥ - تقييد حركة السفر للدخول والخروج للمدينة، حتى يشعر أهلها بالضيق، فيتركوا المدينة فارغة، ويرحلوا إلى خارجها.

٦ - فرض الضرائب التصاعدية على المقدسيين، ليشعروا بالعجز والضيق المالي عن السداد، فيتركوا المدينة، ويهاجروا منها.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٥٥٥) ضعيف، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

٧ – إقامة الحفريات المستمرة والأنفاق، تحت المسجد الأقصى وحوله، بحثا عن شيء خيالي مزعوم، مما يمهد الطريق لهدمه بصورة طبيعية، كما تؤكد الدراسات الهندسية هناك.

٨ – تهجير المقدسيين بالقوة من بيوتهم، وعدم السماح لهم بالعودة مرة ثانية.

٩ – إصدار قانون يسمى قانون الغائب، بأن من يغيب عن منزله من ثماني إلى عشر سنوات تتم مصادرة أرضه لسلطات الاحتلال.

١٠ – التوسع في بناء المغتصبات الضخمة، التي تستوعب عشرات الآلاف من المحتلين الجدد.

أيها المسلمون هذا هو الواقع الأليم للمسجد الأقصى، ومع ذلك لا نيأس، ولا نترك اليأس يتسرب إلى داخلنا، فليس اليأس من أخلاق المسلمين، والله يقول: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

فبدلا من أن تلقى باللوم على غيرك، وأن تلعن الظلام، عليك أن تضيء شمعة لك وللآخرين، وأن تكون لبنة في صرح البناء الإسلامي الكبير، بدلا من أن تكون معول هدم، يفيد الأعداء، ويضر الأصدقاء.

❁❁❁

(١) سورة يوسف الآية (٨٧).

فما واجبنا نحو المسجد الأقصى؟.

١ - فهم القضية فهما صحيحا، ومتابعة أخبار المسلمين هناك، بصورة يومية، وأن تتدارسها مع أسرتك كل يوم.

٢ - نشر القضية بجميع الوسائل القانونية المتاحة، لكسب الرأي العام العالمي، بأن قضية المسجد الأقصى قضية عادلة، وهي حق أصيل للمسلمين، أصحاب البلاد الأصلية.

٣ - دعم المسجد الأقصى ماديا ومعنويا، وترميم الآثار العربية والإسلامية، للمحافظة على وجوده، دون هدم أو تدمير.

٤ - الإلحاح على الله ﷻ بالدعاء في صلواتنا، أن يحفظ المسجد الأقصى من كل ما يدبر له في الظلام، ومن كل مكروه وسوء.

٥- تشجيع الزيارات الداخلية اليومية له، ليتعرف المسلمون هناك على معالم المسجد وتفاصيله عن قرب، بالإضافة إلى مراقبته، والمحافظة عليه من المخططات التي تحاك له في الظلام، لهدمه وتدميره.

نسأل الله ﷻ أن يحفظ مقدساتنا كلها من كل مكروه وسوء.

وأن يحفظ المسجد الأقصى من كيد الكائدين، ومكر الماكرين.

والله من ورائهم محيط.

❁❁❁

(٦٢) دروس من تحويل القبلة.

١- تحويل القبلة من صور الإعجاز القرآني الفريد.

٢- تميز للأمة المسلمة في شخصيتها.

٣- التجرد الكامل في السمع والطاعة.

٤- مكانة النبي ﷺ عند ربه ﷻ.

٥- أفضلية الأمة المحمدية.

❁❁❁

من بين الأحداث الهامة في السيرة النبوية، حادثة تحويل القبلة، من بيت المقدس في فلسطين، قبلة الأنبياء السابقين، إلى بيت الله الحرام في مكة، أول بيت وضع للناس في الأرض.

وقد اختبر الله المسلمين واليهود في هذه الحادثة، في السمع والطاعة، والتصديق، والتجرد والعمل.

ونحاول أن نستخلص بعض الدروس من الحادثة، والآيات القرآنية التي نزلت فيها، ومن هذه الدروس ما يأتي:

❁❁❁

(١) تحويل القبلة من صور الإعجاز القرآني الفريد.

أمر الله نبيه ﷺ في مكة بالتوجه في الصلاة نحو بيت المقدس، قبلة الأنبياء السابقين، وذلك لوحدة الرسالات السابقة، في مصدرها وهدفها وغايتها، واستمر

الحال هكذا ستة عشر شهرا، إلى ما بعد الهجرة، ثم تكلم اليهود في ذلك فقالوا: (ما بال محمد يتبع قبلتنا ولا يتبع ديننا) فنزلت الآيات القرآنية، لتبين حقيقة الموضوع، ويتعلم الناس منها دروسا تربوية هامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

هذه الآية القرآنية من إعجاز القرآن الكريم، حيث تحدثت عن المقولة قبل وقوعها، ولم يستطع اليهود أن يكذبوا القرآن، فقالوا ما قالوا، إنها كانت اختبارا لليهود فرسبوا، وكانت اختبارا للصحابة فنجحوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[2].

ونتعلم عدم المبالاة بالخصوم، ما دام الإنسان على صواب، وعلى الحق المبين، فلم يلتفت النبي ﷺ والصحابة لما قاله اليهود، لأن الذي أمر بالتوجه إلى كلتا القبلتين إنما هو الله ﷻ وهذا يزيد المسلم ثقة في هذا الدين وتعاليمه، فالهداية من الله وحده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[3].

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية (١٤٢).
(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣).
(٣) سورة البقرة الآية (١٤٢).

(٢) تميز للأمة المسلمة في شخصيتها.

ونتعلم الخصوصية والتميز، وهو ما كان يسعى إليه النبي ﷺ ويدعو الله ﷻ لأجل الحصول عليه، فعن ابن عباس ﷺ قال: (كان أول ما نُسِخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله ﷻ أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1].

فالخصوصية والتميز ضروريان للأمة المسلمة، في التصور والاعتقاد، وفي القبلة والعبادة، وفي شخصية المسلم، وفي كل شيء في حياة المسلمين.

❁❁❁

(٣) التجرد الكامل في السمع والطاعة.

المسلم الصادق يتبع تعاليم دينه، دون جدل أو اعتراض، وأما المنافق فيحاول اختلاق المشكلات، ويكثر من السؤال، لا بقصد الفهم، وإنما بقصد التشكيك والجدل، لقد اعترض اليهود على تحويل القبلة، وشككوا في صلاة المسلمين

(١) الحديث في شرح البخاري لابن بطال ٥٩/٢ عن ابن عباس ﷺ.

السابقة، خاصة من مات قبل تحويل القبلة، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[١].

إن التجرد يجعل المسلم مستسلما لله في كل شئون حياته، يقبل أحكامه بالسمع والطاعة، والحب، والانقياد، والاستسلام، كذلك أيضا يتجرد المسلم في الطواف حول بيت الله الحرام، فهو لا يقدس البناء لذاته، ولا يقدس حجرا، لا يسمع ولا يعقل، وإنما يعبد ويعظم صاحب البناء، ورب البيت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾[٢].

❁❁❁

(٤) مكانة النبي ﷺ عند ربه ﷻ.

كانت الرغبة في تحويل القبلة تشغل عقل النبي ﷺ وتفكيره، لكنه لم يصرح بها في دعائه، ولم يحرك بها لسانه، وقد استجاب الله له، وحقق له أمنيته، وهذا يدل على مكانة النبي ﷺ ومنزلته عند الله.

فمن منزلة العبد عند ربه أن يحقق الله له مقصده، دون أن يتلفظ به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٣).

(٢) سورة قريش الآيتان (٣-٤).

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٤).

فاستجاب الله لنبيه ﷺ دون أن يسأله بلسانه، وهو يعلم ما في قلبه، وما يدور في خلده، وما يستولى على فكره، لأكبر دليل في مكانة النبي ﷺ ومنزلته عند ربه ﷻ.

وفي الحديث: **"كَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّائِي وهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ للنبيِّ ﷺ فَقالَتْ عَائِشَةُ ﵂: أما تَسْتَحِي المَرْأَةُ أنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ فَلَمَّا نَزَلَتْ: (تُرْجِئُ مَن تَشَاءُ منهنَّ) قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما أرَى رَبَّكَ إلَّا يُسَارِعُ في هَوَاكَ"**(١).

وهذا يدل على مكانة النبي ﷺ العالية ومنزلته الرفيعة عند الله ﷻ.

❁❁❁

(٥) أفضلية الأمة المحمدية.

لقد شهد الله للأمة الإسلامية بالوسطية في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴿١٤٣﴾ ﴾(٢).

والوسطية تعنى الأفضلية والخيرية والرفعة، فالأمة وسط في كل شيء، في العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات، وهذا واضح جدا لكل من درس تعاليم الإسلام بالتفصيل.

ومن وسطيتها أنها جمعت بين القبلتين، فلم يتحقق ذلك لأمة من الأمم السابقة، بل إن النبي ﷺ وهو في مكة، كان يجعل الكعبة وبيت المقدس معا في اتجاه وجهه، فجمع بين القبلتين معا، مجتمعين، ومنفردين. وتتبلور الخيرية أيضا في الشهادة على

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥١١٣) عن عروة بن الزبير ﵁.

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣).

الأمم السابقة قال تعالى: ﴿لِّيَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[١].

فخيرية الأمة أنها في مقام الشهادة والتعليم والتربية للآخرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾[٢].

فالله هو الذي أخرجها من العدم، وبعثها برسالة هداية للعلمين، وفضلها على الأمم السابقة كلها إلى يوم الدين.

نسأل الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.

❁❁❁

(١) سورة البقرة الآية (١٤٣).

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٦٣) أهمية الوحدة في الإسلام.

١-أهمية الاتحاد في الإسلام.

٢- خطورة الفرقة والاختلاف على المسلمين.

❁❁❁

١-أهمية الاتحاد في الإسلام:

المسلمون أمة واحدة في العقيدة والشريعة، والأخلاق، والمعاملات، وهم أمة واحدة في غايتهم ووجهتهم، وهم أمة واحدة في أفكارهم ومفاهيمهم، وهم أمة واحدة في مشاعرهم وأحاسيسهم، ولقد صور النبيﷺ هذه الوحدة فشبهها بالجسد الواحد في قولهﷺ: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"** (١). وقالﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"**(٢).

وهذا دليل أيضا على أن المسلم لبنة في بناء كبير، لا يعيش وحده، ولا معزولا عن مجتمعه، وإنما المسلمون جميعا جسد واحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشيرﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٤٤٦) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

والآية الكريمة في مجملها تدعونا إلى توحيد الكلمة، واجتماع الصف المسلم على الإسلام، وقد تضمنت ما يأتي:

١. التحذير من دسائس المنافقين، ومن طاعتهم فيما يوقعون به بين المسلمين بعضهم بعضا.

٢. الاعتصام بحبل الله هو أساس الوحدة والتجمع بين المسلمين، وحبل الله هو الإسلام أو القرآن، الذي يلتف المسلمون جميعا حوله.

٣. التذكير بنعمة الأخوة الإيمانية بعد عدوات الجاهلية، وهي من أعظم النعم بعد الإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺقال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيما، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾"[2].

---

(١) سورة الأنفال الآية (٦٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد ١٩٩/٦. وإسناده صحيح، عن عبد الله بن مسعود ﷺ. والآية من سورة الأنعام (١٥٣).

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **"عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلكم المؤمن"** (١).

والصحابة الذين اعتنقوا الإسلام كان بعضهم من جنسيات مختلفة فمنهم العربي كأبي بكر، ومنهم الحبشي كبلال، ومنهم الفارسي كسلمان، ومنهم صاحب اللسان الرومي كصهيب، وكان فيهم الأحرار والعبيد، وفيهم الأقوياء والضعفاء، فدمج النبيﷺ المسلمين بعضهم في بعض، حيث بنى بهم اللبنات التي قام عليها المجتمع، فصنعت مجتمعا متآلفا بالوحدة الإسلامية، باق إلى قيام الساعة رغم ما يواجهه من صعوبات، ورياح عاتية، ومنعطفات شديدة، ومكر بالليل والنهار، يأكل الأخضر واليابس، نسأل ﷻ الله السلامة.

❁❁❁

٢- خطورة الفرقة والاختلاف على المسلمين.

تظهر خطورة الفرقة من خلال معرفة أهم الأسباب التي تدعو إليها إجمالا، ومنها:

١-اتباع الأهواء، حيث تختلف أهواء الناس بعضها عن بعض، ومن ثم اتباعها يؤدى إلى التفرق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢١٦٥) وقال حديث حسن صحيح غريب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢-حب الدنيا والأثرة العمياء، حيث يدفع ذلك الناس إلى التقاتل على الدنيا الفانية.

٣-النظرات التي تدعو إلى القوميات المختلفة، حيث إنها لون من النزعات الجاهلية التي تفرق المسلمين.

٤-الصراع على الإدارة والرئاسة، خاصة حينما يخرج الناس عن الشورى، وأدب الاختلاف فيما بينهم، ويقعوا في الصراع الذي يؤدي إلى تقاتل.

لقد أغلق النبي ﷺ الباب أمام كل إنسان يريد أن يفرق المسلمين، ناظرا إلى أي صورة من صور القومية، حيث لا ميزان لها في الإسلام، ولا قيمة لها في معيار التفاضل، فقد سبق بلال الحبشي أبا جهل القرشي، وسبق سلمان الفارسي أبا لهب الهاشمي.

ولقد نعى الله ﷻ على أهل الكتاب تفرقهم في صفوفهم، واختلافهم في كلمتهم، وتغاير قلوبهم، فبعد الدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ﷻ جاء التحذير من الفرقة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1]. ولخطورة الاختلاف والتفرق، عده الإسلام خروجا عن الدين، وانفصالا عنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٥).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٩).

فالمسلمون إذا لم يجمعهم الحق، شعبهم الباطل، ولقد رأي النبي ﷺ في سفره أن القافلة حين تستريح كان الناس يتفرقون بين الشعاب كأنه ليس بينهم صلة ولا رباط، فكره هذا المشهد ودعاهم إلى التجمع والوحدة.

وفي الحديث عن أبي ثعلبة ﷺ قال: "كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال النبي ﷺ: **"إن تفرقكم هذا من الشيطان، فلم ينزلوا بعد إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم"** (١).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **"إن من فارق الجماعة شبرا فمات، فميتته جاهلية"** (٢).

وكما حذر رسول الله ﷺ المسلمين من الفرقة، دعاهم إلى نبذ أسبابها، ونهاهم عن مقدماتها. فقال: **"إياكم والظن فإنه أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"**(٣).

نسأل الله ﷻ أن يوحد قلوبنا وصفوفنا وكلمتنا وأمتنا،

على كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٢٦٨٦) حديث صحيح، وإسناده جيد، عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٠٥٤) عن عبد الله بن عباس ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٧٢٤). عن أبي هريرة ﷺ.

(٦٤) كيف نستقبل شهر رمضان؟.

١- تفاوت الناس في استقبال شهر رمضان.

٢- من الأعمال النافعة عند قدوم رمضان.

❁❁❁

١- تفاوت الناس في استقبال شهر رمضان.

شهر رمضان أفضل الشهور عند الله، وعند الناس، فهو شهر حبيب إلي النفس، قريب من القلب، تنتظره النفوس لتزكوا، والقلوب لتصفوا، والأرواح لتسموا، والأبدان لتشفي، والله ﷻ يقول: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[1].

وينبغي للمسلم أن يحسن استقبال شهر رمضان على أفضل ما يكون، فإذا جاءك ضيف عزيز حبيب، ماذا أنت صانع من أجل استقباله وإكرامه؟ فكم تقضي من وقت، وتبذل من جهد، وتنفق من مال، من أجل أن تكون كريما معه؟ فكيف بشهر رمضان؟ شهر الصيام، وشهر القرآن، وشهر القيام، وشهر ليلة القدر، وشهر زكاة الفطر، شهر الرحمة والمغفرة، وشهر النجاة من النار.

وفي الحقيقة الناس يتفاوتون في الاستعداد لرمضان على قدر فهمهم وثقافتهم:

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥).

١- فمنهم من يستعد له بإعداد أفضل أنواع الطعام والشراب والحلوى، فيأكل في رمضان مالا يأكله في غيره، وينفق في شهر رمضان ضعف ما ينفقه في غيره، فبدلا من أن يكون شهر تقشف وتدريب ومجاهدة وتحمل، فإذا به يجعله شهر أكل وشرب وإسراف وتبذير.

٢- وهناك صنف آخر يستعد لشهر رمضان، بأن يقضى أطول وقت أمام التلفاز، لمشاهدة الأفلام والمسلسلات، والفوازير والمسابقات، زاعما أنه يسلى صيامه، ويضيع وقته، حتى يحين وقت الإفطار، فهذا وقته بين النوم والتلفاز، وهو في الحقيقة يقتل نفسه، ويضيع الأوقات الفاضلة في غير منفعة وفائدة، والله ﷻ يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

٣- ومن الناس من يستعد لاستقبال رمضان، بشراء مستلزمات العيد من الأقمشة والملابس، والأحذية الجديدة، وأثاث البيت، فيشغل نفسه بالمظاهر والشكليات، ولا يلتفت إلي رمضان وما فيه من منح وعطاءات.

٤- وهناك صنف رابع وأخير، وهو العاقل من الناس من يجعل رمضان شهرًا لمزيد من العبادة والطاعة، وتزكية النفس وإصلاح القلب، والإقبال على الله -تعالي- والعبودية الصادقة، وتحصيل أكبر قدر من الحسنات المضاعفة.

❁❁❁

(١) سورة الفرقان الآية (٦٢).

ومن الأعمال النافعة عند قدوم رمضان ما يأتي:

١-إخلاص النية لله ﷻ وتطهير العمل من الرياء، والبحث عن مرضاة الله، فيجمع الإنسان بين صلاح العمل، وإخلاص النية، ليحظى بالأجر كاملا من الله تعالي، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[١].

٢- تجديد التوبة النصوح إلي الله ﷻ فيقلع عن الذنوب والمعاصي، ويندم على ما فات في غير طاعة، ويعزم على أن لا يعود إلي المعصية، ويرد المظالم إلي أهلها، ويفتح صفحة جديدة مع الله تعالي، والله يقول: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣١ ﴾[٢].

٣- مسامحة من أساءوا إليك، فتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطى من حرمك، فيعتبرها فرصة لإصلاح ذات البين، وإزالة آثار المشاحنات التي علقت بالنفوس، وفي الحديث قال ﷺ: **"يطلع الله إلي جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا مشرك أو مشاحن"** [٣].

وسئل ابن مسعود: كيف كنتم تستقبلون رمضان؟ قال: (ما كان أحدنا يجرؤ أن يستقبل الهلال، وفي قلبه مثقال ذرة حقد على أخيه المسلم).

---

(١) سورة البينة الآية (٥).

(٢) سورة النور الآية (٣١).

(٣) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١٣٢/٢، حسن صحيح، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٤-الحرص على أداء الصلوات الخمس في جماعة في المسجد، على قدر الوسع والطاقة، لمضاعفة الأجر والثواب، فيتعلق قلبه بحب المساجد، وعبادة الله فيها، فيكون سببا للبعد عن النفاق والنار.

وفي الحديث قال ﷺ: **"صلاةُ الرَّجلِ في جماعةٍ تزيدُ علَى صلاتِه في بيتِه وصلاتِه في سوقِه خمسًا وعشرينَ درجةً وذلِك بأنَّ أحدَكم إذا تَوضَّأ فأحسنَ الوضوءَ وأتى المسجدَ لا يُريدُ إلَّا الصَّلاةَ ولا ينهزُه إلَّا الصَّلاةُ لم يخطُ خطوةً إلَّا رُفعَ لَه بِها درجةٌ وحطَّ عنهُ بِها خطيئةٌ حتَّى يدخلَ المسجدَ فإذا دخلَ المسجدَ كانَ في صلاةٍ ما كانتِ الصَّلاةُ هيَ تحبسُه والملائِكةُ يصلُّونَ علَى أحدِكم ما دامَ في مجلسِه الَّذي صلَّى فيهِ ويقولونَ اللَّهمَّ اغفر لَه اللَّهمَّ ارحمهُ اللَّهمَّ تب عليهِ ما لم يؤذِ فيهِ أو يُحدث فيهِ"**(١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"من صلى أربعين يوما في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى مع الإمام، كتبت له براءتان، براءة من النار، وبراءة من النفاق"** (٢).

٥- المواظبة على الأذكار المأثورة عن النبي ﷺ بأشكالها وألوانها المختلفة، مثل أذكار عقب الانتهاء من الصلاة، وأذكار الصباح والمساء، وذكر اليوم والليلة، أو ذكر الحال، والذكر المطلق، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾(٣).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري(٦٤٧) والإمام مسلم (٦٤٩)عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤١) حديث حسن ورواته ثقات، عن أنس بن مالكﷺ.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان (٤١-٤٢).

٦- الارتقاء بالنفس، بقطعها عن مألوف العادات، من فضول الطعام والشراب، والنوم، والمخالطة، والنظر وإلي غير ذلك، مما لا فائدة منه، مما يقطع الإنسان عن القرب من الله -تعالي- فيحفظ الجوارح: العين، واللسان، واليدين، والبطن، والفرج.

وفي الحديث قال ﷺ: **"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والجاهل من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"اضمَنوا لي ستًّا أضمَنْ لكم الجنَّةَ: اصدُقوا إذا حدَّثْتُم، وأوفوا إذا وعَدْتُم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحفَظوا فُروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم"** (٢).

٧- الحرص على المحافظة على أداب الصيام، مثل أن يكون المطعم والمشرب من حلال، وتعجيل الفطر، وتأخير السحور، والدعاء عند الإفطار، ومدارسة القرآن، وختمه ولو مرة طوال الشهر، ومواساة الفقراء والمحتاجين بالمال والطعام، والحرص على صلاة القيام والتهجد والنوافل، وملازمة الصالحين، وحضور مجالس العلم، والتفقه في الدين.

وفي الحديث القدسي يقولُ اللهُ ﷻ: **"مَن عادَى لي وليًّا فقَد بارَزني بالمحارَبةِ، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بمثلِ أداءِ ما افتَرضتُه عليْهِ، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمَعُ بِهِ، وبصرَهُ الَّذي يبصرُ-**

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٤٥٩) حديث حسن، عن شداد بن أوس ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٢٧١) عن عبادة بن الصامت ﷺ.

بِهِ، ويدَهُ الَّتي يبطِشُ بها، ورجلَهُ الَّتي يمشي بها، فبي يسمَعُ وبي يُبصِرُ وبي يبطِشُ وبي يسعى، ولئن سألني لأعطينَّهُ، ولئنِ استعاذني لأعيذنَّهُ، وما تردَّدتُ عَن شيءٍ أنا فاعلُهُ تردُّدي عن قَبض نفسِ عَبدي المؤمنِ، يَكرَهُ الموتَ وأكرَهُ مَساءتَهُ، ولابد لَهُ منْه" (١).

وقال ﷺ: **"من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"**(٢).

فالفقيه في الدين، يعبد الله على وعي وبصيرة، ويراعي فقه الأولويات، ويوازن بين إصلاح النفس، ودعوة الغير.

كما أن المواظبة على نوافل العبات تنقل الإنسان نقلة كبيرة، إلى محبة الله ومرضاته ورضوانه، وكفى بذلك نعمة لا مثيل لها في الوجود كله.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

❁❁❁

(١) الحديث ذكره الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٧١/٢ وقال: أصح حديث روي في الأولياء، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

(٦٥) من فضائل شهر رمضان.

١- رمضان خير الشهور.

٢- رمضان شهر الصيام.

٣- رمضان شهر القيام.

٤- رمضان شهر القرآن.

٥- رمضان شهر الصدقة (زكاة الفطر).

٦- رمضان شهر فيه ليلة خير من ألف شهر(ليلة القدر).

❁❁❁

١- رمضان خير الشهور وأفضلها:

لقد فضل الله ﷻ الشهور والأيام والليالى بعضها على بعض، ففضل شهر رمضان على باقى الشهور، رغم أنه ليس من الأشهر الحرم؛ وذلك لأن الله فضل نهاره بالصيام، وليله بالقيام، وصيام رمضان ركن من الأركان الخمسة الذي علم من الدين بالضرورة. وفي الحديث: **"بُنِي الإسلامُ على خمسٍ: شَهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضانَ"** (١).

وقد فضل الله ذلك الشهر على باقى شهور السنة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**"قد جاءكم شهر رمضان، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه**

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨). عن عبد الله بن عمر ﷺ.

أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم" (١). وفي رواية قال: **"وينادى مناد يا باغى الخير أبشر، ويا باغى الشر أقصر، حتى ينتهي رمضان"** (٢).

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: **"الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، والعمرة إلى العمرة، مكفرات لما بينهن إذا أجتنبت الكبائر"**(٣).

❁❁❁

٢- رمضان شهر الصيام:

ومن الفضائل التي خص الله بها شهر رمضان دون سائر الشهور، أن الله أوجب صيام نهاره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ ﴿١٨٥﴾ ﴾(٤).

وفي حديث بني الإسلام على خمس قال رسول الله ﷺ: **"وصيام رمضان.."**(٥).

وفي الحديث أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: **"يا رسول الله أخبرني عما فرض الله على من الصيام؟ قال شهر رمضان، قال هل على غيره؟ قال لا إلا أن تتطوع"** (٦).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام النسائى، وذكره الألباني في تمام المنة، وقال منقطع، لكنه صحيح لغيره، وقال شعيب الأرناؤط في تخريج المسند صحيح (٩٤٩٧) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٦٨٢) وقال حديث غريب، عن أبي هريرةﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) سورة البقرة من الآية (١٨٥).

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٨٩١) عن طلحة بن عبيد الله التميمي ﷺ.

وقال ﷺ: **"من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه"**(١).

ومن مزايا الصيام أنه هو العبادة الوحيدة التي تقع بين العبد وربه، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: قال الله ﷻ في الحديث القدسي: **"كل عمل بن آدم له إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، وللصائم فرحتان يفرحهما عند فطره، وعند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"**(٢).

ولما كان الجزاء من جنس العمل، وكان الصوم يجعل المسلم يشعر بالظمأ، كافأه الله يوم القيامة، بأن جعل له بابا من أبواب الجنة يسمى(الريان) جعل خصيصا للصائمين، وفي الحديث قال ﷺ: **"إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد"** (٣).

والصيام مدرسة تربوية، يتربى فيها المسلم على فضائل الإسلام، ومكارم الأخلاق، ومن ذلك:

١- يتعلم المسلم الصبر بالامتناع عن الطعام والشراب والشهوة، فتقوى إرادته على تحمل المشاق ومصاعب الحياة.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٩٠٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٨٩٦) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

٢- يتعلم المسلم المواساة، والشعور بحالة الفقراء والبائسين، فيواسيهم بماله، فيكفل الغنى الفقير، والقوى الضعيف.

٣- يتعلم الانضباط والأدب في الحياة، خلال العمل الجماعي، حيث يصوم المسلمون في كل قطر في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، فيكونون كالجسد الواحد، والبنيان المرصوص.

❁❁❁

٣- رمضان شهر القيام:

لقد خص الله ليالي شهر رمضان بفضيلة القيام، فقال ﷺ: **"من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه"** (١). ولقد ثبت عنه ﷺأنه في الغالب لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، وفي بعض الليالي يصلى ثلاث عشرة ركعة، وليس في رمضان حد محدود للقيام، ولما سئل ﷺ عن قيام الليل قال: **"مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة، توتر له ما قد صلى"** (٢).

ولكن الأفضل هو الغالب الذي كان عليه رسول الله ﷺ وهو إحدى عشرة ركعة، مع الطمأنينة، والخشوع، والإخلاص، وحضور القلب، وصدق الرغبة في التقرب إلى الله ﷻ وقد قال ﷺ: **"وجعلت قرة عيني في الصلاة"** (٣).

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام الشافعي في الأم ٤٨٦/٨ إسناده صحيح على شرط مسلم، عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى ٧٨/٧ إسناده جيد، عن أنس بن مالك ﷺ.

٤-رمضان شهر القرآن:

ومن خصائص شهر رمضان، أن أول شيء نزل من القرآن نزل فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴿١٨٥﴾ ﴾[١].

فيستحب للمسلم أن يكثر من تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، والعام الذي توفي فيه النبي ﷺ عرض عليه جبريل عليه السلام القرآن الكريم مرتين.

والصيام مع القرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة، وفي الحديث عنه ﷺ قال: **"الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب، منعته الطعام والشراب والشهوة بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن أي رب، منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال فيشفعان"**[٢].

ويستحب عند تلاوة القرآن وسماعه ما يأتي:

١- الإنصات. ٢- التدبر. ٣- حضور القلب. ٤- ترك الشواغل. ٥- استشعار عظمة الكلام والمتكلم. ٦- الترقي من حال إلى حال. ٧- الاستشعار بأن كل آية إنما تخاطبك أنت وحدك.

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٨٥).

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١٠٧/٢، صحيح أو حسن، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

٥- رمضان شهر الصدقة (زكاة الفطر).

من مزايا شهر رمضان وخصائصه، أنه تقع فيه عبادة زكاة الفطر، وهي صدقة واجبة على كل مسلم عنده ما يزيد عن قوت يوم وليلة، يخرجها عن نفسه وعمن يعول، ويخرج المسلم زكاة الفطر بنية التقرب إلى الله لمساعدة الفقراء والمساكين، وإغنائهم من ذل السؤال في يوم العيد.

وزكاة الفطر طهارة للصائم من اللغو والرفث الذي لا يسلم منه أحد، وتزكية له من التعلق بحب المال والدنيا، والسنة إخراجها حبوبا، وأجاز الفقهاء إخراجها قيمة (-أي مالا- وقالوا: أيهما كان أفضل لمصلحة الفقير.

قال ابن عباس رضي الله عنه: **"فرض النبي ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للفقراء والمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات"**(١).

❁❁❁

٦- شهر رمضان فيه ليلة خير من ألف شهر:

خص الله ﷻ شهر رمضان بأن فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، في الأجر والثواب والشرف والمكانة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾(٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (١٠٦٩) بسند حسن، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٢) سورة القدر الآيات (١-٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[١].

وقال ﷺ: **"من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه"**[٢].

وكان ﷺ يتحرى ليلة القدر، ويأمر أصحابه أيضا بتحريها في العشر الأواخر من شهر رمضان، وخاصة الليالي الفردية، وأرجى الليالي ليلة السابع والعشرين، لما روى عن أبي بن كعب ﷺ قال: (والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا رسول الله بقيامها، وهي ليلة سبع وعشرين، وكان أبي يحلف على ذلك ويقول بالآية والعلامة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها) [٣].

وفي الحديث عن عائشة ﷺ قالت: **"يا رسول الله ﷺ إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى"** [٤].

نسأل الله ﷻ أن يتقبل منا الصيام والقيام،

وصالح الأعمال. وان يعفوا عنا في الدنيا والآخرة.

❁❁❁

(١) سورة الدخان الآيتان (٣-٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو نعيم في الحلية ٢٠٧/٤ حسن، عن أبي بن كعب ﷺ.

(٤) الحديث ذكره الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة (٣١١٩) عن عائشة ﷺ.

(٦٦) ماذا تعلم المسلم من رمضان؟.

١- تعلم المسلم درس التقوى، وحب النافلة، والصبر على المشاق.

٢- تعلم المسلم التمسك بالحلال، وتربية النفس، والمواساة.

٣- تعلم المسلم المواظبة على قراءة القرآن، والزهد في الدنيا، والإكثار من الدعاء.

٤- تعلم المسلم التدريب على حسن الخلق.

❁❁❁

في الحقيقة، شهر رمضان مدرسة تربوية خاصة، يتربى فيها المسلمون جميعا على فضائل الإسلام، ومكارم الأخلاق، فينتهي رمضان، وقد سمت نفوسهم، وارتقت أرواحهم، وتحسنت أخلاقهم، وقوى إيمانهم.

١- وأول درس يتعلمه المسلم من رمضان، هو إعلاء مستوى التقوى، واستشعار مراقبة الله ﷻ في كل وقت وحين، بالليل والنهار، في السر والعلانية، في السفر والحضر، فعنده رقابة ذاتية من إيمانه بالله ﷻ حيث إنه لا يراقب القانون، ولا الكاميرا، ولا الناس، وإنما يراقب رب الناس ﷻ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[1].

(١) سورة البقرة الآية (١٨٣).

٢-أن يتعود المسلم على صوم النافلة، ليتقرب بها إلى الله ﷻ وفي الحديث قال ﷺ: **"من صام رمضان ثم أتبعه بستة من شوال فكأنما صام الدهر كله"** (١).

وفي الحديث قال ﷺ: **"من صام يوما في سبيل الله باعد الله بينه بين النار سبعين خريفا"**(٢).

ويستحب صيام ست من شوال متتابعة أو مفرقة، وصوم يوم عرفة لمن ليس حاجا، وصوم عاشوراء العاشر من المحرم، ويصوم معه يومًا قبله أو يوما بعده، أو كلاهما كل هذه مستحبة، ويوم عرفة يكفر الله به السنة التي قبله، والسنة التي بعده، ويوم عاشوراء صومه يكفر السنة التي قبله. وأفضل صيام التطوع أن يصوم يوما ويفطر يوما، وهذا صوم داود عليه الصلاة والسلام شطر الدهر، والبقية فيها خير عظيم، وإن شاء صام ثلاثة أيام من كل شهر، وإن شاء صام الإثنين والخميس، كل هذا مستحب.

٣- يتعلم المسلم من رمضان الصبر على المصاعب والمشاق، فالصيام حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخضوع لله وخشوع، فالذي يتحمل مرارة الجوع والعطش خمس عشرة ساعة كل يوم، تقوى إرادته، فيستطيع أن يتحمل صعوبات الحياة، فلا ينهار أمام النوازل والشدائد.

ومن لم يذق حلو الحياة ومرها ∴ فما هو إلا طائش اللب خاسر.

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٣٣٩) إسناده صحيح، عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ.
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٨٤٠) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

٤- يتعلم المسلم من رمضان التمسك بالحلال في الطعام والشراب والشهوة، حيث ترك كل هذه الأمور وهي حلال، فمن باب أولى أن يقوى على ترك الحرام المحض، والله ﷻ أمر عباده المؤمنين بما أمر به المرسلين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[1].

فقدم الله الأكل من الطيبات والحلال، لأنه سبب لتيسير الله وتوفيقه، لكي يقوم المسلم بأداء العمل الصالح بتوفيق من الله.

٥- يتعلم المسلم من رمضان قطع النفس عن مألوف العادات، فكثير من الناس لهم عادات مباحة، مثل أن يشرب الشاي أو القهوة، عدة مرات كل يوم، أو يأكل طعاما معينا، وذلك حلال من الناحية الشرعية، فالصيام يقطع هذه العادات حتى لا تتحكم في المسلم، ويكون أسيرا لها.

وهناك العادات المحرمة، مثل التدخين، فحينما يمتنع المدخن الصائم عنه لمدة خمس عشرة ساعة كل يوم لمدة شهر، فيستطيع في نهاية رمضان أن يتخلص من هذه العادة السيئة القبيحة المحرمة.

٦- يتعلم المسلم من رمضان المواساة، والشعور بحاجة الفقير والضعيف والمسكين، فقد جرب الجوع والعطش، وأحس بمرارة الحرمان، ومن ثم فيقدم الصدقة إلى الفقراء والمحتاجين، حتى يخفف عنهم الآلام، ويمسح دموع الأيتام، ومن ثم فرض الإسلام على كل مسلم يملك ما يزيد عن قوت نفسه ومن يعول

(١) سورة المؤمنون الآية (٥١).

يوما وليلة، أن يخرج زكاة الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للفقراء والمساكين، وإغناءً لهم عن ذل السؤال في يوم العيد.

❁❁❁

٧- يتعلم المسلم المواظبة على قراءة القرآن، فهو حياة الروح، وقوت القلوب، وصلاح النفوس، وإكسير الحياة، وتكريما لهذا الشهر الذي نزل فيه القرآن، يستحب للمسلم أن يتدارس القرآن مع نفسه، ومع أهله، وأولاده، فأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، فالقرآن أنيس لصاحبه في الوحشة، ونور له في الظلمة، وشفيع له عند الله يوم القيامة.

٨- يتعلم المسلم الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، فالاعتكاف عشرة أيام في أواخر رمضان، يجعل المسلم قد رق قلبه، ودمعت عينه، وبكى على خطيئته، فيقبل على العمل الصالح راغبا فيما عند الله من الأجر والثواب.

أن يألف المسلم العبادة وأن تقع محبتها في قلبه، وقد تدرب على الصيام والقيام، وقراءة القرآن، والمكوث في المسجد -الاعتكاف- فيداوم عليه، ويمنحه الله الهداية والإيمان، حتى يلقى الله ﷻ وهو عنه راض.

٩- يتعلم المسلم من رمضان الإكثار من الدعاء، فهو مخ العبادة، وقد وضع الله لنا في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر -كما تعلمون- حتى يبتهل المسلم في الدعاء فيها إلى الله ﷻ فيطلب منه الرحمة والمغفرة والنجاة من النار، فالمسلم حينما يكثر من الدعاء، ويتعود على هذه العبادة، يشعر بالعبودية الصادقة نحو سيده وخالقه ﷻ.

وقد وضع الله أيضا آية الدعاء بين آيات الصيام، ليكون الدعاء معراجا للعمل الصالح عند الله، فيكثر العبد منه طوال هذا الشهر الفضيل، أملا في أن يتقبل الله منه صالح الأعمال.

١٠- من فوائد صيام رمضان، والنافلة بعد رمضان، كسر حدة الشهوة والغريزة الجنسية، وهذا ما أوصى به النبي ﷺ الشباب الذين لا يقدرون على الزواج بالصيام، لأنه يعلم المسلم التسامي في غريزته، فيغض بصره، ويحفظ فرجه من الحرام، وهذا من أعظم دروس التربية العملية في الترقي بالأخلاق، إلى أقصى درجه ممكنة.

وفي الحديث قال ﷺ: **"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"** (١).

❁❁❁

وأخيرا من أعظم دروس رمضان، التدريب على حسن الخلق.

من ثمرات الصيام أنه يعلم المسلم الآداب السامية، والأخلاق الرفيعة، ومن هذه الأخلاق، حفظ الجوارح كلها، والتحكم في كل ما يصدر عن الإنسان، من قول أو فعل، أو سلوك. عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول الله، مرني بعمل قال: "عليك بالصوم فإنه لا عدل له" (٢).فالصوم مدرسة تربوية خاصة، يتدرب المسلم فيها على حسن الخلق، وفي هذا المعنى جاء الحديث: **"الصيام جنة، فإذا كان يوم**

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٠٦٥) عن ابن مسعود ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١٠٩/٢ إسناده حسن، عن أبي أمامة ﷺ.

صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل إني صائم مرتين"(١).

ومعنى جنة: أي وقاية وسترة من الذنوب والمعاصي في الدنيا، ووقاية من النار في الآخرة.وقيل: يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات، فهو يضعف شهوات النفس.

ووقاية من النار: لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات.

والرفث: هو الكلام الفاحش، فيحفظ اللسان مما يؤذي الآخرين، سواء كانت الغيبة أو النميمة، أو الكلام فيما يتعلق بأعراض الناس.

ولا يجهل: أي لا يفعل شيئا من أهل الجهل والجاهلية، كالصياح، والسفه، والمراء، والجدال بالباطل، فكلها أمور تؤدى إلى اللوم والعتاب، وهذه ليست من أخلاق الصائم.

والرفث والفسق والصخب: أعمال منافية للآداب والأخلاق، فلا يجوز للصائم أن يقع فيها، أو يقترب منها، ليتدرب على ضبط النفس، والتحكم في السلوك والأخلاق. وفي الحديث قال ﷺ: **"ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش البذئ"**(٢).

فإن امرؤ قاتله أو شاتمه: بمعنى أنه جهل عليه، وبدأه بألفاظ جارحة، فلا يشتمه ولا يسبه، ولا يعامله بمثل معاملته، لأنه صائم. فالصيام يعلمه حسن الخلق، فكيف يتعامل مع هذا الطرف الآخر؟ فعليه أن يقول إني صائم مرتين.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٨٩٤) عن أبي هريرةﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٩٧٧) حسن غريب، عن ابن مسعودﷺ.

والتكرار هنا: ليتأكد الإنذار منه لمن يغضبه، فهو بذلك يكف لسانه عن خصمه، ويكف خصمه عن نفسه، فلا يتمادى في السب والشتم، كأنه يضع للموضوع نهاية من جانبه، ويطلب من الخصم أن يتوقف عن هذا السب. فإذا كنت صائما وكان هناك ما يدعو للغضب فذكر نفسك وغيرك بقولك إني صائم مرتين.

لقد ربط النبي ﷺ بين حسن، الخلق وقبول العبادة برباط قوي متين، حيث حذر من قول الزور، لأنه يؤدي إلى رفض العمل من الله، وعدم قبوله، وفي الحديث أيضا قال ﷺ: **"من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"** (١).

فالحديث يدل على التحذير من قول الزور، لأنه يتنافى مع أخلاق الإسلام، وأخلاق الصائم.وليس لله حاجة: كناية عن عدم قبول العمل من الله، فإنه بصيامه لن يصيب رضا الله ﷻ بالرغم من جوعه وعطشه.

ونتعلم من هذا الحديث أيضا أن الصيام له أخلاق، منها حفظ اللسان والجوارح، وإقامة الشهادة على وجهها، والبعد عن شهادة الزور، وأن يسأل الله قبول العمل بعد أن ينتهي من أدائه، فالهدف الرئيسي- من العمل، هو أن يكون موضع قبول عند الله أولا وأخيرا. وبذلك يكون رمضان شهر التربية، والإصلاح، والتغيير. **نسأل الله ﷻ أن يتقبل منا الصيام والقيام وقراءة القرآن، وصالح الأعمال.**

❁❁❁

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٠٥٧) عن أبي هريرة ﷺ.

(٦٧) الأصالة والمعاصرة في شخصية المسلم (١).

أولا: جوانب الأصالة في شخصية المسلم:

١-التمسك بالعقيدة الإسلامية.

٢-الالتزام بالعبادة الصحيحة.

٣-التحلي بالأخلاق الفاضلة.

٤- الالتزام بالمعاملات الإسلامية.

٥- التمسك بآداب الإسلام وسنن نبيه.

٦- التمسك باللغة العربية.

ثانيا: جوانب المعاصرة في شخصية المسلم:

١-معنى المعاصرة.

٢-الأخذ بأسباب العلم.

٣-الأخذ بأسلوب الإحصاء والتخطيط.

٤-النظرة المستقبلية المتفائلة.

❁❁❁

مقدمه:

شخصية المسلم في حياتنا المعاصرة، تتأرجح بين تعلقها بالماضي أو الحاضر، فمن المسلمين من يتعلق بالماضي والتراث، الذي يعنى الأصالة في كل شيء من أمور

(١) هذا الموضوع مستفاد من كتاب الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، د. يوسف القرضاوي.

الدنيا والدين، فيتمسك بكل قديم مما كان عليه الأقدمون، وقسم منهم يتعلق بالحاضر والمعاصرة، فيتمسك بكل جديد ولو كان وافدا من الغرب، مما له بريقه وإغراؤه، ووصل الحال بالمسلمين إلى أنهم نسوا القديم المفيد، ولم يتعلموا الجديد النافع.

والمطلوب الآن من المسلم المعاصر، أن يجمع في تكوين شخصيته بين القديم والحديث، بين الأصالة والمعاصرة، بين المحافظة والتجديد، فهي ثنائية تكامل لا تضاد، وتنوع لا تقابل، هذا ما ينبغي أن يعيه كل مسلم، ويفهمه جيدا، ويسعى إلى تطبيقه وتنفيذه، وهذا يدفعنا إلى معرفة أهم جوانب الأصالة والمعاصرة في شخصية المسلم.

❁❁❁

أولا: جوانب الأصالة في شخصية المسلم:

١-**التمسك بالعقيدة الإسلامية**: حتى تكون راسخة في قلبه، واضحة في عقله، متدفقة في دمائه، وأن يسعى إلى أن يتمثلها في حياته وشئونه كلها، فيتعلق قلبه بالله وحده، وأن يملأه بحبه ومعرفته، والثقة فيه، والتوكل عليه، يعتقد أن أجله ورزقه بيد الله، ولا يحدث شيء في الكون إلا بعلمه ﷻ فبناء شخصية المسلم لا يكتمل إلا بالعقيدة الصحيحة، التي تفسر له نظرته إلى الكون والحياة، والدنيا والآخرة.

ومن وصايا الرسول ﷺ لابن عباس وهو يعلمه العقيدة الصحيحة، حينما أردفه خلفه فقال له: **"يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو**

اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"(١).

هذه العقيدة هي التي تحرر شخصية الإنسان من العبودية للبشر، إلى عبودية الله ﷻ وتلك هي قمة الحرية والسعادة.

❁❁❁

٢-الالتزام بالعبادة الصحيحة: فالعبادة تصل الإنسان بخالقه، في صلواته وصيامه وزكاته وحجه، فهي تزكية للنفس، وإصلاح للقلب، وحياة الضمير، ويقظة للإيمان، فهي تبعد الإنسان عن المنكرات والفواحش،ففي أثر الصلاة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢).

وفي حق الصيام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾(٣).

وفي أثر الزكاة والصدقة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٦) حديث صحيح، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٣) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٤) سورة التوبة الآية (١٠٣).

وفي فوائد الحج وآثاره قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1].

إن شخصية المسلم بدون هذه العبادات، تصبح حياة لا روح فيها، إنها حياة أشبه بالصحراء القاحلة، التي تخلو من الماء والخضرة، فلا تصلح أن تقام فيها حياة، والعبادة هي أكبر دليل على صدق العقيدة، قال ﷺ: **"إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان"**[2].

❁❁❁

٣-التحلي بالأخلاق الفاضلة: إن الأخلاق الفاضلة إنما هي ثمرة العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، قال ﷺ: **"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"**[3]. **"وكان ﷺ خلقه القرآن"**[4].

فلا تكتمل شخصية المسلم إلا إذا تحلى بمكارم الأخلاق، من الصدق، والأمانة، والتواضع، والحلم، والكرم، والسخاء، والصبر، والحياء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(٢) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٧٤/١ وضعفه الألباني، عن أبى سعيد الخدري ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨/٩ إسناده جيد، عن أبى هريرة ﷺ.

(٤) الحديث ذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في إتحاف المهرة ١٠٦٥/١٦ وصححه الألباني، عن عائشة ﷺ.

(٥) سورة الفرقان الآية (٦٣).

وهي أمور ليست ثانوية في شخصية المسلم، يمكن الاستغناء عنها، أو التحلل منها.

إن الإسلام انتشر في القرون الأولى على يد الرعيل الأول من السلف الصالح، الذين تمثلوا أخلاق الإسلام، وتجسدت في معاملاتهم، فكانت سببا في هداية الناس إلى الإسلام، لأن الأخلاق لها صلة قوية بالعقيدة والإيمان، قال ﷺ: **"الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"** (١). وقال ﷺ: **"الحياء والإيمان قرناء، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر"**(٢).

❁❁❁

٤- الالتزام بالمعاملات الإسلامية: ومن عوامل الأصالة في شخصية المسلم، أن تكون معاملاته كلها وفق ضوابط الشرع والدين، فلا يتعامل في بيعة وشرائه، أو في زواجه، أو في قضاء مصالحه الدنيوية، إلا وفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء.

وفي كتب الشريعة والفقه صور مفصلة للمعاملات الحلال، حتى يلتزم بها المسلم، وصور مفصلة للمعاملات الحرام، حتى يحذرها، ولا يقع فيها، إذ الغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، فإذا كانت غايته سامية وشريفة؛ فلا بد أن تكون وسائلة سامية وعالية.

إن الدين كل لا يتجزأ، لا تفرقة فيه بين العقيدة، أو العبادة، أو الأخلاق، فلا يصح لإنسان أن يأخذ شيئا ويترك أشياء، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٩) عن أبى هريرة ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٣٥٠/٣ صحيح، عن عبد الله بن عمر ﷺ.

ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[١].

ويقول: ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[٢].

إن شخصية المسلم مطالبة بأن تلتزم بهذه الأصول، على مدار الحياة كلها، في السر والعلانية، والليل والنهار، والحضر والسفر، فالتمسك بالدين يجعل للإنسان هدفا، ويجعل له رسالة، ويحدد له غاية، إنه يربطه بخالقه، وبالدار الآخرة التي خلقها الله لها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٣].

إن الدين والتدين فطرى في البشر، يسرى داخل الإنسان في أعماقه، فيوثر في فكره، وشعوره، وعقله، وضميره، فالحياة بلا دين، كالحياة بلا ماء وهواء.

❁❁❁

٥- التمسك بآداب الإسلام وسنن نبيه ﷺ: فشخصية المسلم لا تكتمل إلا إذا تحلى بآداب الإسلام ظاهرا وباطنا، فيعيش في كل شئون حياته، مقتديا بالنبي ﷺ في مظهره ومخبره، وفي طعامه وشرابه، في يقظته ومنامه، وهذا يجعل المسلم متميزا حينما

(١) سورة البقرة الآية (٢٠٨).
(٢) سورة البقرة الآية (٨٥).
(٣) سورة الزخرف الآيتان (٧٢-٧٣).

تراه لأول وهلة، وقد أمر النبي ﷺ مخالفة غير المسلمين من اليهود والنصارى، تميزًا عنهم فقال: **"خالفوا المشركين، وفروا اللحى، واحفوا الشوارب"**[١].

إن الناس في حاجة إلى نموذج يتعلمون منه المبادئ التي تتجسد في شخصيته، فيكون لهم القدوة والأسوة، ولقد وضع الله أمام البشر نموذجا لتكون سيرته منارة للناس في كل شئون الحياة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[٢].

❁❁❁

٦- **التمسك باللغة العربية**: كما أن المسلم في تكوينه لشخصيته يعتز بدينه، فهو أيضا يعتز بلغته؛ لأنها أداة لفهم القرآن، ووسيلة للتأثير في العقل والشعور، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٣].

واللغة العربية تواجه حربا ضروسا، إذ لا قرآن بغير العربية، فالتزام المسلم بلغته لون من الأصالة، في التمسك بلغة القرآن الكريم والسنة النبوية.

لقد كان من أساليب المحتلين لبلاد المسلمين إضعاف الفصحى، وإشاعة العامية، وإحلال اللغة الأجنبية، لقطع المسلم عن أصوله وجذوره، وقد رأى المسلمون آثار ذلك في تركيا، التي تعرضت للهجوم العلماني الشرس، بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية، فحاولوا طمس كل ما يتعلق بالإسلام من قريب أو بعيد.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٥٩) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١).

(٣) سورة يوسف الآية (٢).

لقد وجدنا كثيرا من المسلمين والمسلمات المعاصرين يتقنون لغات شتى، ولا يحسنون العربية نطقا أو كتابة، ويوضعون في مواطن التأثير في المجتمع، حتى يقتدى بهم الشباب، من أجل الحصول على فرصة عمل، في زمن قلت فيه الفرص، رغم كثرة خيرات المسلمين وثرواتهم، وهذا أمر مستهدف من الأعداء، لقطع صلة المسلم بلغة القرآن الكريم.

إن شخصية المسلم بدون هذه الجوانب السابقة، ينتفي عنها الإسلام تماما، لأنها فقدت أصولها، وجذورها، وهويتها، فيصبح كالشجرة التي ليس لها جذور، سرعان ما تقتلعها الريح، وتعصف بها الأعاصير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

❁❁❁

(١) سورة إبراهيم الآيتان (٢٤-٢٥).

ثانيا: جوانب المعاصرة في شخصية المسلم.

١ - **المعاصرة تعنى**: أن يعيش المسلم في عصره وزمانه، يعيش مع الأحياء لا مع الأموات، يعيش الواقع المماثل، مع ما يجرى حوله من أحداث، حتى يتعامل معها على بصيرة.

وفي الحديث عن أبى ذر ﷺ قال ﷺ: **"ينبغي للعاقل أن يكون عارفا بزمانه، حافظا للسانه، مقبلا على شأنه"** (١).

وعن ابن عباس ﷺ قال: (رحم الله امرءا عرف زمانه، واستقامت طريقته) (٢).

ومن تمام المعاصرة: معرفة الواقع المحلى والإقليمي والعالمي، ومعرفة العناصر المؤثرة فيه، خاصة أن عصرنا له إيجابياته، وعليه سلبياته، فهو عصر العلم والتكنولوجيا، والسرعة والقوة، والتغيرات السريعة، والتخطيط والتنظيم، واقتحام المستقبل، وحقوق الإنسان، والمطلوب أن نأخذ أحسن ما في عصرنا، وننتفع بكل جوانبه الخيرة.

ولقد اقر النبي ﷺ الأحكام النافعة التي كانت موجودة، ومعمولا بها في الجاهلية، مثل حلف الفضول، الذي أقيم لنصرة المظلوم، وقال: **"لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت"** (٣).

---

(١) الحديث ذكره الإمام ابن حبان في صحيحه ٣٦١/٢. عن أبى ذر ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المناوي في فيض القدير (٤٤٤٠) عن ابن عباس ﷺ.

(٣) الحديث ذكره ابن حجر في فتح الباري ٥٥٣/٤ مرسل، عن طلحة بن عوف ﷺ.

نريد أن نأخذ أحسن ما عند الغرب، مما هو ملائم لأهدافنا، فلا نستورد ما يضرنا من أدوات اللهو الحرام، وأدوات الاستهلاك والترفيه، ولا ما يجعل الأمة تتكل على غيرها، ولا نستورد المحرمات من المشروبات، مثل الخمور والمفترات، أو ما يسمونه هم بالمشروبات الروحية.

❁❁❁

٢-نريد في شخصية المسلم المعاصر أن يأخذ بأسباب العلم، القائم على الملاحظة والتجريب، والعلوم الطبيعية، والرياضية، والهندسة الوراثية، والحاسب الآلي، وأن نستنبت التكنولوجيا في أرضنا، لا نستوردها من غيرنا، فالمستورد من الغرب لا يطور بأيدينا، فهم يعطوننا السلعة، ولا يعطوننا أسرارها، حتى نبقى عالة عليهم في الاستيراد، فنكون دائما أسواقا مستعملة لسلعهم وبضائعهم

❁❁❁

٣- نريد من المسلم المعاصر أن يستخدم أسلوب الإحصاء والتخطيط، في معالجة الأمور: فلا يعتمد على العشوائية، وإنما يأخذ بالتخطيط، فعن حذيفة قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: **"احصوا لي كم يلفظ الإسلام"** (١).

وقال ﷺ: **"اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس، قال حذيفة: فكتبنا ألفا وخمسمائة رجل"** (٢).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٤٩) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٠٦٠) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وأما التخطيط، فالقرآن يعلمنا ذلك في قصة يوسف عليه السلام الذي وضع خطة خمس عشرية، للزراعة، والاقتصاد، والتموين، فأنقذ الله البلاد من مجاعة، كانت سوف تأكل الأخضر واليابس، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1].

والهجرة كانت نتيجة لدراسة واسعة للبيئة التي حول الرسول ﷺ استفاد من الجغرافيا، والتاريخ، والاجتماع، فأمر الصحابة أولا بالهجرة إلى الحبشة، لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد من الناس.

ثم وضع خطة محكمة للهجرة إلى المدينة المنورة، بعد بيعة العقبة الأولى والثانية، واتخذ في هجرته الرفيق، ومن يأتيه بالغذاء، والأخبار، والدليل، والرواحل، والمخبأ، وفريق الخدمة، إلى غير ذلك من الأسباب المادية، التي أخذ بها النبي ﷺ.

❁❁❁

٤-النظرة المستقبلية المتفائلة:

يتطلع المسلم إلى مستقبل أفضل مما هو عليه اليوم، يتطلع إلى غد ينتصر فيه الخير على الشر، والإيمان على الإلحاد، والفضيلة على الرذيلة، وأصحاب البلاد على المحتل الغاصب، فالقرآن سجل أحداثا، ووجه النظر إلى عوامل التغير، من الواقع إلى المتوقع. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ

(١) سورة يوسف الآيات (٤٧-٤٩).

سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (٣).

فالمسلم يعيش مع المبشرات التي تبعث الأمل في النفوس، بعودة الإسلام من جديد للحياة، فينقل العالم من المادية الطاغية، إلى الوحدانية السامية، ومن تلوث الحياة الاجتماعية بالجنس، والإثارة، إلى العفة والطهارة والنقاء.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

❁❁❁

(١) سورة الروم الآيات (١-٥).
(٢) سورة النور الآية (٥٥).
(٣) سورة الحج الآية (٤١).

(٦٨) أسباب استجلاب النصر من الله ﷻ.

١-الثقة في أن النصر بيد الله ﷻ.

٢-أسباب النصر قبل المعركة.

٣-أسباب النصر أثناء المعركة.

٤-من سنن الله ﷻ في النصر والتمكين.

❁❁❁

١ - الثقة في أن النصر بيد الله ﷻ:

يعتقد المسلم الصادق في إيمانه، أن النصر بيد الله ﷻ وحده، وأن الأمور كلها تمشى وفق تدبيره ومشيئته، فلا يقع في كون الله، إلا ما أراده الله ﷻ.

فحينما تترسخ هذه العقيدة في قلب المؤمن، تكسبه ثقة فيما عند الله ﷻ فيركن إليه، ويتوكل عليه، ويطلب منه المدد والتوفيق، والنصرة والتمكين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[2]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٢٦).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٦٠).

(٣) سورة النساء الآية (٤٥).

فهذه الآيات تبين في وضوح وجلاء، أن الذي يملك إعطاء النصر في جميع المعارك إنما هو الله ﷻ فهو يعطيه لأوليائه، نصرة وتمكينا لهم، وقد يؤخره عن المؤمنين ليختبرهم في إيمانهم وصبرهم، وهذا لون من التربية والتمحيص.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[2]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[3].

ومن أسماء الله الحسنى القوى الناصر، فمن ركن إليه ﷻ فقد أوى إلى ركن شديد، إلى القوة التي لا تقهر، والملك الذي لا يهزم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

فثقة الأمة بأن النصر بيد الله ﷻ يجعلها تقبل عليه، وتتودد إليه، وتلتمس منه النصرة على الأعداء، في أدعيتها وصلواتها، في يسرها وعسرها، في رخائها وشدتها، ذلك أن من تعرف على الله ﷻ في الرخاء، عرفه الله في الشدة.

❁❁❁

(١) سورة محمد الآيات (٤-٦).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٢).
(٣) سورة البقرة الآية (٢١٤).
(٤) سورة الأنعام الآية (١٨).

٢- أسباب النصر قبل المعركة:

هناك عدة أسباب لابد منها قبل المعركة، حتى ينـزل النصر- من الله ﷻ فهو لا ينزل النصر على قوم ينتسبون إليه، ولا يطيعون أوامره، ولا يقيمون حدوده، ولا يتنزل النصر على أمة تقصى تعاليم القرآن والسنة عن واقع الحياة العامة، في كل شئون حياتها، ولا يتنزل النصر على أمة تخالف هدى النبي ﷺ وتقف من السنة موقف العداء والخصومة، ولا يتنـزل النصر- على أمة تستورد القوانين البشرية، والفلسفات المادية الأرضية، في تنظيم حياة الناس وشئونهم.

ولا يتنزل النصر على أمة تعيش في بطالة، وأفرادها كسالى يعتمدون على غيرهم، في طعامهم، وشرابهم، ومواصلاتهم، وأسلحتهم، ولا يعتمدون على كد يمينهم، وعرق جبينهم، وكدح سنينهم، ولا يتنزل النصر على أمة لا تأخذ بأسباب القوة، والعقيدة، والإيمان، أو الوحدة والأخوة، أو الساعد والسلاح.

إنما يتنزل النصر إذا توفر شرطان أساسيان هما:

أن تكون الأمة كلها على طاعة لله ﷻ فتنصر دينه، وهدى نبيه ﷺ في كل شئون حياتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾[1]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[2].

(١) سورة محمد الآية (٧).

(٢) سورة غافر الآية (٥١).

فالنصر لا يتنزل إلا على المؤمنين الصادقين، الذين تاجروا مع الله ﷻ بالغالي والنفيس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

وكانت دائما وصية الخلفاء الراشدين إلى جنودهم، إن أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم، فإذا تساويتم مع الأعداء في المعصية كانت الغلبة للأقوى.

ولقد رأينا في معركة العاشر من رمضان، السادس من أكتوبر، حينما عادت الأمة كلها إلى الله، القادة والجند، والأمة من ورائهم في المساجد، وصيحة الله أكبر في الميدان، فلاحت بوادر النصر، قبل العصر، لأن منزل النصر ومدبره إنما هو الله ﷻ: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

إعداد القوة على قدر الوسع والطاقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

فالمطلوب أن نأخذ بجميع الأسباب المتاحة والميسرة، في إعداد القوة المادية، من أصغرها مثل الحجر، إلى أعلاها من الوسائل الحديثة المعاصرة.

---

(١) سورة التوبة الآية (١١١).
(٢) سورة الأنفال الآية (١٧).
(٣) سورة الأنفال الآية (٦٠).

والإسلام في جميع معاركه لم يعتمد على العدد أو العتاد، ولا على كثرة الأسلحة والمعدات، وإنما ينظر إلى طاعة المسلمين، وأخذهم بالأسباب المتاحة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[1].

وفي بدر، نصر الله الصحابة وهم قلة، ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا، على الكثرة من المشركين، ألف رجل، ونزل القرآن بعدها، لينسب النصر ـ إلى صانعه الحقيقي وهو الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

فيعطى المسلمين درسا في التواضع، وينسب النصر إلى صاحبه الحقيقي، ومنزله ومدبره، وهو الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾[4].

ولما رأي المسلمون كثرة الروم في غزوة مؤتة، قال أحدهم: (ما أكثر الروم، وما أقل المسلمين؟ فرد عليه ابن رواحة قائلا: بل ما أقل الروم، وما أكثر المسلمين، إنما ننتصر عليهم بطاعتنا لله، ومعصيتهم له، والله إن الذي تكرهون لهو الذي من أجله خرجتم).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٤٩).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٢٣).
(٣) سورة الأنفال الآية (١٧).
(٤) سورة الأنفال الآية (٧).

وفي حطين، نصر الله القائد البطل صلاح الدين الأيوبي، وهو يقود كتائب الإيمان والتوحيد، في جيش قوامه (اثنا عشر ألفا) على الصليبيين في جيش قوامه (ستون ألفا) وقتل المسلمون من الصليبيين (ثلاثين ألفا) وأسروا (ثلاثين ألفا) والأمثلة كثيرة في كتب التاريخ، والسير، والمغازي.

إن تاريخ المسلمين حافل بالأيام التاريخية من الانتصارات المبهرة، التي لا تنسى من ذاكرة التاريخ والأيام.

❁❁❁

٣- أسباب النصر أثناء المعركة:

كما أن هناك أسبابا أخرى للنصر أثناء المعركة، لابد من الأخذ بها، حتى يكون الجيش محل عناية الله ورعايته، ونصره وتمكينه، وهذه الأسباب يلخصها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

فلا بد للنصر من العناصر الخمسة التي في الآية وهي:

١-**الثبات**: إذ كيف ينزل النصر على قوم فروا من الميدان، وولوا ظهورهم للأعداء، والله ﷻ يقول عن يوم بدر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

(١) سورة الأنفال الآية (٤٥).

(٢) سورة الأنفال الآية (١٢).

٢-**الذكر**: إذ كيف يتنزل النصر على أمة غافلة، أو معرضة عن الطاعة، أو ملطخة بالمعصية.

٣-**الطاعة**: إذ كيف يتنزل النصر على أمة تبارز الله بالذنوب والمعاصي، وتعلى من شأن الفنانين، ولاعبي كرة القدم، وتنزل من شأن العلماء والصالحين.

٤-**عدم التنازع**: إذ كيف يتنزل النصر على أمة متفرقة مختلفة، بأسها بين أبنائها شديد، والله ﷻ يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

٥-**الصبر**: إذ كيف يتنزل النصر على أمة لا تتحلى بالصبر والثبات، والله ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[2].

فحينما انهزم المسلمون في أحد، نزل القرآن ليعطي المسلمين درسا في أسباب الهزيمة، وهو مخالفة أمر القائد، وتحول النية من أجل الدنيا عند البعض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾[3].

❁❁❁

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).
(٢) سورة آل عمران الآية (٢٠٠).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٦٥).

٤- من سنن الله في النصر والتمكين:

إن لله ﷻ سننا لا تتغير ولا تتبدل في هذا الكون، ومنها سنة الله في النصر والتمكين لأوليائه، منها:

١- أن يكون للحق أنصار يحملونه ويدافعون عنه، ويضحون في سبيله ويسترخصون الحياة، ويطلبون ما عند الله ﷻ بالغالي والنفيس، فالحياة كلها صراع بين الحق والباطل، فإذا تمسك أصحاب الحق بحقهم ودافعوا عنه هيأوا أنفسهم لنصر الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

٢- مع اشتداد الأزمة والشدة يكون الفرج القريب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٨).
(٢) سورة المائدة الآية (٢٣).
(٣) سورة يوسف الآية (١١٠).
(٤) سورة الحج الآية (٣٩).

٣- إن النصر لا يتنزل إلا على من يستحقه، وهم من تحققت فيهم العبودية الصادقة، وأصبحوا جنودا صادقين لله ﷻ وحده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾[2].

٤- إن النصر الحقيقي حينما تنتصر الفكرة التي يحملها المسلم، وإن تعرض في سبيلها للأذى والاضطهاد، فلقد وقع بعض المسلمين شهداء في مكة، مثل ياسر أبو عمار، وسمية بنت خياط، دون أن يروا للإسلام دولة، وكتب الله لهم الشهادة، وانتصر الإسلام، وقامت له دولة باقية إلى قيام الساعة، إن شاء الله ﷻ.

فالمؤمن بين نصر وتمكين، إن كتب الله له الحياة، وبين دخول الجنة إن نال الشهادة في سبيل الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

نسأل الله ﷻ أن ينزل علينا نصرا قريبا يعز فيه أهل طاعته،

ويذل فيه أهل معصيته.

❁❁❁

(١) سورة الصافات الآية (١٧٣).

(٢) سورة الإسراء الآية (٥).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٢٣).

(٦٩) دروس من قصة سليمان عليه السلام.

الأسس التي أقام عليها سليمان عليه السلام مملكته:

١ - العلم والقوة.

٢ - أن الدولة لها رسالة وغاية.

٣ - القائد البصير بشئون الرعية.

٤ - قيام الأفراد بواجباتهم نحو تلك الغاية.

❁❁❁

قصة سيدنا سليمان عليه السلام مليئة بالمواقف التربوية والدعوية، التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم، وسنستعرض بعضا من أحداث القصة، وما قابل سيدنا سليمان عليه السلام في مسيرته الدعوية مع المملكة وشئون الحكم فيها.

الأسس التي أقام عليها سليمان عليه السلام مملكته:

١ - العلم والقوة:

إن دولة تريد أن تنهض لابد أن تقوم على العلم الواسع من علوم الدنيا والدين، وأول العلم: العلم بالله ومعرفته وتوحيده، والتوكل عليه، واستمداد العون والتوفيق منه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[1]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ

(١) سورة محمد الآية (١٩).

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[1].

وأما علوم الدنيا فهي مهمة في حياة البشر، حيث إن الله فطر الكون على سنن ربانية، وقوانين إلاهية، لا تتبدل ولا تتغير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[2].

وعلوم الدنيا تقوم على التجربة، والتخطيط، لعمارة الكون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿٦١﴾ ﴾[3].

١- فيوسف عليه السلام وضع خطة خمس عشرية، أنقذ البلاد من مجاعة كانت ستأكل الأخضر واليابس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4].

٢- وذو القرنين، صنع سدا قويا من الحديد والنحاس، ليحمى المستضعفين من ظلم يأجوج ومأجوج، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ

(١) سورة الطلاق الآية (١٢).
(٢) سورة طه الآية (٥٠).
(٣) سورة هود الآية (٦١).
(٤) سورة يوسف الآيات (٤٧-٤٩)

ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

٣- وطالوت عليه السلام اختاره الله ملكا على بنى إسرائيل، لما يتمتع به من بسطه العلم والجسم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾[2].

ومن بين العلوم المهمة العلم باللغات، لأن الأمة مكلفة بدعوة العالم إلى الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[4].

والعلوم كلها هبه وفتح من الله أولا وأخيرًا، إذا صدقت النية، وصحت العزيمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ

(١) سورة الكهف الآيات (٩٣-٩٧)
(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٧).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤).
(٤) سورة إبراهيم الآية (٤).

عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[٢].

وأما القوة، فقد تمثلت في ذلك الجيش القوى المدرب، الذي يحمى الحق ويدافع عنه، فلا بدُ للحق من قوة تحميه، وتدافع عنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٣].

إن الإسلام أمرنا بامتلاك القوة، حتى ولو لم نستخدمها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٤]. وفي الحديث قال ﷺ: **"ألا إن القوة الرمى"** [٥].

❁❁❁

٢ -إن الدولة لها رسالة وغاية:

إن أي أمه تعيش بلا رسالة، وبلا غاية، فهي إلى زوال لا محالة، أين التتار؟ أين الفراعنة؟ أين الحضارات القديمة؟ لقد ذهبت مع موت أصحابها، ولم يبق منها إلا التاريخ والآثار فقط.

---

(١) سورة النمل الآية (١٥).

(٢) سورة النمل الآية (١٦).

(٣) سورة النمل الآية (١٧).

(٤) سورة الأنفال الآية (٦٠).

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٩١٧) عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

أما أمة الإسلام، فهي باقية إلى قيام الساعة، لأن لها رسالة، تتمثل في هداية البشرية إلى الإسلام، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتعبيد الناس إلى الله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وإقامة العدل في الحياة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

إن الأمم التي أهدافها وضيعة، ورسالتها أرضية، وغايتها استعباد الآخرين لها، فهي أمم إلى زوال لا محالة، أين الأمم السابقة وغيرهم الآن؟ لقد سقطوا من داخلهم، وذهبوا إلى طي النسيان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

❁❁❁

٣- القائد البصير بشئون الرعية:

سخر الله ﷻ الطيور والحيوانات لسليمان عليه السلام وخدمته، فكان الهدهد ينفذ ما يأمره به سليمان، وإذا عصى أوامره يعاقبه على ذلك.

---

(١) سورة ص الآية (٢٦).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٠).

منح الله هدهد سليمان عليه السلام القدرة على رؤية الماء من تحت الأرض، حيث ينظر فيرى مكان الماء، ثم يخبر سليمان عليه السلام بمكانه ويأمر سليمان الجن فيحفرون ويخرجون الماء من العيون.

ذات يوم بينما كان جيش سليمان عليه السلام يسير في الصحراء، إذ أصابهم العطش فسأل سليمان عن الهدهد حتى يبحث عن الماء وإذا بالهدهد مختفي!.

إن سليمان عليه السلام كان في غاية اليقظة والانتباه، حتى إنه استطاع أن يكتشف خللا بسيطا في المملكة، وهو غياب جندي صغير، دون إذن من القائد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾[١].

إن القائد البصير يضع العقوبة على قدر الخطأ، فلا بظلم أحدا، ولا يطبق الحكم إلا بعد أن يسمع حجة المتهم، فهو برئ حتى تثبت إدانته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾[٢].

أحيانا يكون في الجندي ما ليس في القائد، وفي الطالب ما ليس في المدرس، وفي الابن ما ليس في أبيه، وفي الهدهد ما ليس في سليمان عليه السلام قال تعالى على لسان الهدهد مخاطبا سليمان: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٣].

❁❁❁

(١) سورة النمل الآية (٢٠).

(٢) سورة النمل الآية (٢١).

(٣) سورة النمل الآية (٢٢).

٤-قيام الأفراد بواجباتهم:

إن دولة سليمان عليه السلام لا تعرف البطالة، ولا الكسل، ولا أن يكون الإنسان عالة على الآخرين، وهو بصحة جيدة، فهذا الهدهد الصغير، كان له دور مهم في الجيش، وهو تامين المياه، وهو يقوم بدوره هذا اكتشف خللا في حياة الناس، يتعارض مع رسالة الدولة وغايتها، فرفعه سريعا إلى القائد الأعلى ليعالجه بسلطانه.

لقد ركز الهدهد على القضايا المهمة التي رآها، وماذا فعل سليمان عليه السلام فيها؟.

١- امرأة تدير مملكة، ومعها قوة وجيش وسلطان، وهي وقومها يعبدون غير الله، لقد شخص سبب الانحراف في تزيين الشيطان، ثم تحسر وتأسف على عدم عبادتهم لله عز وجل الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، ويعلم ظواهر الناس وبواطنهم وخفاياهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

٢- أراد سليمان عليه السلام أن يتأكد من صدق الخبر، قبل أن يأخذ قرار القوي في القضية، فحمله رسالة إلى بلقيس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

(١) سورة النمل الآيتان (٢٣-٢٤).

(٢) سورة النمل الآية (٢٨).

٣- تلقت بلقيس الرسالة فأثنت عليها، لأنه ابتدأها بالبسملة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾[١].

٤- شاورت بلقيس رجالها ووزراءها في قضية مصيرية، لا تريد أن تستبد برأيها فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾[٢].

٥- رد الوزراء الأمر إليها، لأنهم قوم عقيدتهم مضطربة، فليس لهم رأي حازم، كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٣].

٦- أرادت أن تختبر سليمان عليه السلام هل هو نبي مرسل، أم حاكم يريد توسيع مملكته، فأرسلت له الهدايا: ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[٤].

٧- سليمان عليه السلام كان يفهم رسالته جيدا، ولا يريد أن يحيد عنها، ولا يقبل المساومة على مبادئه مهما كانت الإغراءات المادية، فهو على يقظة وبصيرة من هدفه ورسالته وغايته، ولذلك أنكر عليهم صنيعهم، وتوعدهم بالحرب الضروس، لأنه

---

(١) سورة النمل الآيتان (٢٩-٣٠).
(٢) سورة النمل الآية (٣٢).
(٣) سورة النمل الآية (٢٣).
(٤) سورة النمل الآية (٣٥).

لا يبحث عن مال أو جاه أو دنيا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ﴾(١).

٨- رد سليمان عليه السلام الهدايا لأنه لا يريد دنيا، وعنده ما يكفيه، وتوعدهم إذا لم يسلموا، فقال كما حكى القرآن الكريم: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾(٢).

٩- علم سليمان عليه السلام أنها قادمة مع قومها فأراد أن يختبر ذكاءها وفطنتها للأمور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾(٣).

١٠- الذي حمل الكرسي أو عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام كان رجلا صالحا، يعرف اسم الله الأعظم، وكان أفضل من الجن، حيث خصه الله عز وجل بهذه المعرفة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ٤٠ ﴾(٤).

١١- تواضع سليمان عليه السلام أمام ما أعطاه الله من نعم وفضل، فلم يستكبر ويغتر، مثلما فعل قارون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾(٥).

---

(١) سورة النمل الآية (٣٦).
(٢) سورة النمل الآية (٣٧).
(٣) سورة النمل الآية (٤١).
(٤) سورة النمل الآية (٤٠).
(٥) سورة النمل الآية (٤٠).

١٢- نكر سليمان عليه السلام لها العرش، ليختبر ذكاءها، فكانت موفقة في إجابتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾[١].

١٣- علم سليمان عليه السلام أنها ستدخل في الإسلام، فأراها آية من عطاءات الله له عند دخولها الصرح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢].

١٤- الذي منع بلقيس أن تكون مسلمة قبل ذلك، أنها ورثت الحكم عن أبيها الكافر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[٣].

١٥- حينما أسلمت بلقيس، كان إسلامها إسلام ملوك وأمراء، فأسلمت مع سليمان عليه السلام وليست لسليمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٤].

فهذه القصة فيها من الدروس والعبر التربوية والدعوية، التي يحتاج إليها المسلمون، خاصة في ذلك العصر الذي يبحث عمن يحمل هم الإسلام ولوائه، ويقوم بنشره في كل مكان من أرض الله الواسعة، كما فعل سليمان عليه السلام.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المؤمنين الأقوياء الأتقياء الأنقياء الأخفياء.

❁❁❁

(١) سورة النمل الآية (٤٢).
(٢) سورة النمل الآية (٤٤).
(٣) سورة النمل الآية (٤٣).
(٤) سورة النمل الآية (٤٤).

(٧٠) يوسف عليه السلام ونهضة مصر.

١ - الابتلاء قبل التمكين.

٢ - يوسف عليه السلام الداعية السجين.

٣- يوسف عليه السلام وزير التخطيط والزراعة.

❁❁❁

١ -الابتلاء قبل التمكين:

من سنن الله ﷻ في الدعوات الابتلاء قبل التمكين، وهذه من سنن الله ﷻ الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

سأل رجل الإمام الشافعي- رحمه الله- فقال: (يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل، أن يمكن أو يبتلي، فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلي، فإن الله ابتلي نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة، وهذا أصل عظيم، فينبغي للعاقل أن يعرفه، وهذا يحصل لكل أحد) [2].

ويوسف عليه السلام واحد من هؤلاء الدعاة السابقين، تعرض لفتنة عاصفة في أمر دينه، حيث أغرته امرأة العزيز، بما تملك من زينة وجمال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا

---

(١) سورة الفتح الآية (٢٣).

(٢) الفوائد لابن القيم صـ ٢٠٨.

عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

لقد حفظه الله ﷻ من الوقوع في الحرام والفاحشة، رغم أنه شاب في عنفوان الشباب، والعزيزة الجنسية عمياء لا ترى، صماء لا تسمع، بكماء لا تتكلم، تلح على صاحبها أن يجد مصرفا لها، ورغم أنه بعيد عن أعين البشر، إلا أنه اعتصم بالله فعصمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[2].

وسبب العصمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3]. فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة. لقد تعرض يوسف عليه السلام لفتنة في دينه وفتنة في دنياه، فاختار يوسف عليه السلام فتنة الدنيا على فتنة الدين، فقبل أن يدخل السجن مظلوما، على أن يخسر جزءً من دينه، بوقوعه في الحرام والفاحشة.

فمر يوسف عليه السلام بالابتلاء الشديد، ونجح فيه، فكانت الثمرة التمكين في الأرض، ولقد كان الابتلاء شديدا، فدخل السجن مظلوما بتهمة لم يرتكبها، وقبل ذلك بنفس راضية مسلمة، وأوكل أمره إلى الله ﷻ لأنه لا يقع في كون الله إلا ما أراده الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ

(١) سورة يوسف الآية (٢٣).
(٢) سورة يوسف الآية (٣٢).
(٣) سورة يوسف الآية (٢٤).

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

❁❁❁

٢-يوسف عليه السلام الداعية السجين:

بالرغم من أن سجن يوسف عليه السلام كان ظلما وعدوانا، لكن لم يمنعه ذلك من مواصلة طريق الدعوة، وتقديم النصيحة، وهو في السجن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

لقد توسما فيه الصلاح والتقى، بسبب أخلاقه العالية، فقالا له كما حكى القرآن الكريم ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

فالداعية له سمته الدائم، من العقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة، وحسن الخلق، ويظهر ذلك عليه في كل وقت وحين، حتى في الأوقات الحالكة من السجن، وما فيه من ضيق وصعوبات.

لقد قدم لهم يوسف عليه السلام الدليل المادى على صدقه، قبل تأويل الرؤيا، حيث كان ينبئهم بنوع الطعام قبل أن يأتى، وهذا إخبار بالغيب لهم، كما أنه يرفع يوسف عندهم درجة من الصلاح إلى النبوة، حيث لا يعلم الغيب إلا الله، أو من أطلعه الله عليه من

(١) سورة يوسف الآية (٣٣-٣٥).
(٢) سورة يوسف من الآية (٣٦).
(٣) سورة يوسف الآية (٣٦).

الرسل والأنبياء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[١].

لقد ظهر تواضع يوسف عليه السلام مع أقرانه في السجن، حينما نسب هذا العلم، وتلك المعرفة إلى صاحبها الحقيقى، وهو الله ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[٢].

فهى دعوة لهم إلى الإيمان بالله وتوحيده، فهو القادر على كل شئ، وهو العالم بكل شئ، وهو الذي يعطي كل شيء، وهو الذي يمنع من أي شيء.

ومن مظاهر التوحيد التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم، الولاء والبراء، ومفارقة ماعليه القوم من شرك ووثنية، فقد أعلن ذلك يوسف عليه السلام صراحة وهو يعرفهم بالله فقال: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٣].

كما أنه متبع لأبائه السابقين من الأنبياء والمرسلين، فليس بدعا في الرسالة، ولا مبتدعا في الدين، وإنما هو متبع كل الاتباع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٤].

---

(١) سورة الجن الآية (٢٧).
(٢) سورة يوسف من الآية (٣٧).
(٣) سورة يوسف الآية (٣٧).
(٤) سورة يوسف من الآية (٣٨).

ثم ينسب يوسف عليه السلام النعمة إلى الله وحده، فيقول: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[1].

ثم يخاطب يوسف عليه السلام عقل أصدقائه في السجن، حيث وضح لهم أيهما أفضل، آلهة متعددة متفرقة باطلة، أم إله واحد حق قادر على كل شيء، له طلاقة المشيئة الإلهية؟. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[2].

وإذا كان الله هو الإله الحق، فإن ما يدعون من دونه الباطل، آلهة صنعوها بأيديهم، وسموها من عندهم، لا تملك لنفسها النفع والضر، فكيف مع غيرها؟.

ثم يقدم يوسف عليه السلام لهم أبرز قضية في توحيد الله، وهى قضية الحكم، فيجب أن يكون لله وحده، لا لغيره من الآلهة الباطلة، أو المخلوقين من البشر، ومن ثم فتجب له وحده العبادة، والسمع والطاعة.

❁❁❁

٣-يوسف عليه السلام وزير التخطيط والزراعة:

وتبدأ قصة يوسف عليه السلام كوزير للتخطيط والزراعة، في تأويله لرؤيا الملك، فهو متخصص في تعبير الرؤيا، بتأييد من الله ﷻ ويعيش مظلوما في سجن، ويستفتى من خصومه في تخصصه، ومع ذلك يقدم لهم التعبير الصحيح، والنصيحة الصادقة، دون مقابل مادى أو معنوى.

---

(١) سورة يوسف الآية (٣٨).

(٢) سورة يوسف الآية (٣٩).

لقد وضع يوسف خطة خمس عشرية، لإنقاذ البلاد من مجاعة، كانت ستأكل الأخضر واليابس، إذا لم يكن لديهم الخطة الصحيحة للخروج من الأزمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾(١).

فالأكل على قدر الحاجة فقط، والزيادة يخزن لفترة الجدب، والجفاف، والأزمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(٢).

ففي وقت المجاعة والشدة، تعتمد الأمة على المخزون الاستراتيجي، فإذا لم يكن لديها ما يكفيها، فماذا تصنع في هذه الظروف الصعبة؟ بلا شك أنها سوف تضطر إلى أن تمد يدها إلى غيرها بالدين، والدين هم بالليل، ومذلة بالنهار.

وبعد الشدة يأتي الفرج، وبعد الظلام الدامس، يأتي نور الفجر الصادق، ومن ثم يأتي العام الخامس عشر، الذى ينزل فيه الماء، وتخضر فيه الأرض، ويثمر فيه الزروع، وتجنى فيه الثمار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(٣).

لقد عرض على يوسف عليه السلام أن يذهب لمقابلة الملك فرفض الخروج، حتى تثبت براءته بالدليل والبرهان، وفتح ملف القضية من جديد، فظهرت براءة يوسف عليه السلام ساطعة كالشمس، مضيئة كالقمر، واضحة كفلج الصبح، واعترفت امرأة العزيز بالحقيقة

(١) سورة يوسف الآية (٤٧).
(٢) سورة يوسف الآية (٤٨).
(٣) سورة يوسف الآية (٤٩).

كاملة، التى ظهر فيها التدبير الخفي من نفسها الأمارة، وشهادة النسوة اللاتى كن معها، وخرج يوسف عليه السلام من السجن بريئا مكرما إلى قصر الملك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١).

يوسف عليه السلام من السجن إلى الوزارة، ولا شك أن الأصل في الإنسان أن لا يزكى نفسه، ولا يشهد لها، ولا يطلب الولاية لنفسه أيضا، لكن إذا غابت الكفايات فيجب أن يكون في مقدمة الصفوف، كما أنه نبى مؤيد بالوحى، فلا يخشى عليه من العجب والكبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾(٢).

فالأمانة تقدم على التخصص، في مجال القيادة والوزارة، وذلك لأن خزائن الأرض تحت يديه، هو الذى يوزعها دون رقيب أوحسيب من البشر، فلابد أن يكون يكون أمينا، كما أن خبرته العلمية هى التى أهلته لهذا المنصب الكبير، من أجل ذلك قدم الأمانة على العلم في الآية السابقة فقال: ﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾. كما نلمح في الآية الكريمة أنه قال: (خزائن الأرض) أى أن نتاج أرض مصر يكفي لأهل الأرض كلها، إذا وجدت القيادة الراشدة، التى توظف الإمكانات، وتفجر الطاقات، وتصنع البطولات.

ويختم هذا المشهد بتمكين الله له في الأرض، فلا يقع في كون الله إلا ما أراده الله عز وجل وهذا توفيق من الله عز وجل له أولا وأخيرا، ودور يوسف عليه السلام هو الأخذ بالأسباب، وإتقان العمل، والأجر والمثوبة من الله عز وجل وحده.

---

(١) سورة يوسف الآية (٥١).

(٢) سورة يوسف الآية (٥٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(١).

وينسب يوسف عليه السلام ما هو فيه من نعم وتمكين إلى الله ﷻ ويختم رسالته بالدعاء إلى الله، بطلب الوفاة على الإسلام، واللحوق بالصالحين، فهي أعظم أمنية يتمناها كل نبي ورسول، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾(٢).

إن أعظم نعمة للعبد أن يختم الله له حياته بالوفاة على الإسلام وتلك نعمة كبرى لا تقدر بالدنيا وما فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٣). إن طريق يوسف عليه السلام في دعوته، هو نفسه طريق الأنبياء والمرسلين، والدعاة والمصلحين، طريق الدعوة إلى الله على علم وهدى وبصيرة، وفقه في فهم الدين، والعمل به وتطبيقه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٤).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المخلصين، وأن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأن يختم لنا بالوفاة على الإسلام، وأن يلحقنا بالصالحين على خير وطاعة، آمين.

❁❁❁

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٦).

(٢) سورة يوسف الآية (١٠١).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٤) سورة يوسف الآية (١٠٨).

السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:

(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/ ٣/ ١٩٩٠م. حتى ٢٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/ ٢/ ١٩٩٣م. حتى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٥م. حتى ٤/ ٥/ ١٩٩٩م
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من٥/ ٥/ ١٩٩٩م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م حتى ١يوليو ٢٠٠٤.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجن دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١.

٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. من ١ يوليو ٢٠١١ م.

٨. **الوظيفة الحالية: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر.**

التخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها:/ الدعوة/ الخطابة/ الثقافة الإسلامية/ تاريخ الخلفاء/ إسلام في المشرق/ الفرق/ فقه السيرة النبوية/ الاستشراق/ التنصير/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ النصرانية/ مناهج الدعوة/ آيات الله الإنسانية/ آيات الله الكونية/ قضايا معاصرة/ خلق المسلم/ رسالة المسجد/ حقوق الإنسان في الإسلام.

أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم ونداء الإسلام من مكة المكرمة.

يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الألى.

تاريخ الميلاد:٢٧/ ٢/ ١٩٦٧م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية – مدينة أجا – خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ت/ ٢٣١٦٨٩١/ ٠٤٨.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com.

❁❁❁

المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

✍ سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة الإسلامية وأساليبها في ضوء القرآن والسنة.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة ﵂ وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.

❁❁❁

سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

❁❁❁

سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.

٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.

٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).

٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.

٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.

٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.

٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).

٣٠. تحقيق مخطوط (الأدلة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).

لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.

❁❁❁

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**٣**
(٤١) قيمة النية وأهميتها في الإسلام.	**٥**
١- النية معيار قبول العمل أو رده.	**٥**
٢- النية الصالحة تحول العادة إلى عبادة.	**٦**
٣- صدق النية يوجب الثواب من الله وإن لم يتم العمل.	**٧**
٤- النية الصالحة تكسب العبد المعونة والتوفيق من الله.	**٩**
٥- النية المدخولة تحبط العمل.	**١٠**
٦- وأخيرا النية الحسنة لا تأثير لها في أمرين.	**١٢**
(٤٢) دروس من الهجرة النبوية الشريفة.	١٣
عوامل نجاح الهجرة: مقدمة.	١٣
١- النية الصالحة.	١٤
٢- التخطيط الجيد.	١٤
٣- التضحية الغالية.	١٦
٤- المعية الإلهية.	١٧
(٤٣) مكانة المسجد ودوره في الإسلام.	١٩
١- أول أعمال النبي ﷺ في المدينة بناء المسجد.	١٩
٢- أثر المسجد في بناء المجتمع.	٢١
(٤٤) الأخوة الإسلامية.	٢٥

١- مكانة الأخوة ومنزلتها.	٢٦
٢- فضائل الأخوة.	٢٨
٣- شروط الأخوة وحقوقها.	٣٠
٤- نماذج تطبيقية للأخوة.	٣٢
(٤٥) معية الله سلاح المؤمن.	٣٥
١- أهمية استشعار المعية الإلهية.	٣٥
٢- المعية في حياة الأنبياء والمرسلين.	٣٦
٣- أثر استشعار المعية في النصر والتمكين.	٣٩
(٤٦) مكانة القرآن الكريم.	٤٢
١- القرآن كتاب هداية.	٤٣
٢- القرآن كتاب نور.	٤٥
٣- القرآن كتاب حياة.	٤٧
٤- القرآن كتاب شفاء.	٥٠
٥- القرآن ضمنه الله حلا لجميع مشكلاتنا.	٥٣
(٤٧) واجبنا نحو القرآن الكريم.	٥٥
١- الإيمان القوى بأن صلاح الأمة في اتباع القرآن والسنة.	٥٥
٢- قراءته وتلاوته.	٥٦
٣- تدبر آياته.	٥٨
٤- العمل به على مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع.	٦٢
(٤٨) من آثار الذنوب على الفرد والمجتمع.	٦٧

١- موت القلب.	٦٧
٢- حرمان الطاعة.	٦٩
٣- حرمان الرزق والعلم والتوفيق الإلهي.	٧٠
٤- نزول البلاء والعذاب من الله على الناس.	٧٢
(٤٩) من مداخل الشيطان للإنسان.	٧٥
١- عداوة الشيطان للإنسان والأنبياء.	٧٥
٢- أهداف الشيطان من الإنسان.	٧٨
٣- أساليبه في الغواية.	٨٠
٤- العلاج.	٨٢
(٥٠) الطريق إلى إصلاح النفس.	٨٤
١- أهمية إصلاح النفس.	٨٤
٢- لماذا التركيز على إصلاح النفس.	٨٦
٣- أحوال النفس.	٨٩
٤- صفات النفس الأمارة.	٩١
٥- خطوات نحو العلاج.	٩٤
(٥١) التوبة النصوح.	٩٥
١- معنى التوبة.	٩٥
٢- شروطها.	٩٦
٣- الترغيب فيها.	٩٦
٤- من آثار التوبة على الفرد والمجتمع.	٩٨

(٥٢) مداومة الذكر والاستغفار.	١٠٠
١- فضائل الذكر والاستغفار.	١٠٠
٢- أنواع الذكر المأثورة.	١٠٢
٣- فوائد الذكر وآثاره في حياة المسلم.	١٠٣
(٥٣) المكاشفة والمعاهدة.	١٠٥
١- المكاشفة: معناها، وكيفية تطبيقها.	١٠٥
٢- المعاهدة: معناها، وكيفية تطبيقها.	١٠٧
(٥٤) المجاهدة.	١٠٩
١- معنى المجاهدة.	١٠٩
٢- أهميتها.	١٠٩
٣- نماذج وصور للمجاهدة.	١١١
(٥٥) المراقبة.	١١٤
١- معنى المراقبة.	١١٤
٢- فائدتها.	١١٤
٣- أنواعها.	١١٥
٤-نماذج من المراقبة.	١١٦
(٥٦) المحاسبة.	١١٨
١- معنى المحاسبة.	١١٨
٢- أهمية المحاسبة.	١١٨
٣- كيفية المحاسبة.	١١٩

٤- المحاسبة أدب قرآني.	١١٩
٥-نماذج من صور سلفنا الصالح في المحاسبة.	١٢٠
(٥٧) نحو إصلاح القلب جـ١.	١٢٣
١- تعريف القلب وأهميته.	١٢٣
٢- لماذا نركز على إصلاح القلب.	١٢٤
٣- أقسام القلوب: قلب المؤمن – قلب الكافر – قلب المنافق-.	١٢٧
٤- العلاقة بين سلامة القلب والإيمان.	١٢٩
(٥٨) نحو إصلاح القلب جـ ٢.	١٣٣
١- طبيعة قلب الكافر.	١٣٣
٢- طبيعة قلب المنافق.	١٣٤
٣- بعض الأمور التي تؤدى إلى قسوة القلب.	١٣٦
٤-من وسائل العلاج لإصلاح القلب.	١٣٧
(٥٩) دروس من رحلة الإسراء والمعراج.	١٤٠
١- حالة مكة قبل رحلة الإسراء والمعراج.	١٤٠
٢- وصف لأحداث رحلة الإسراء والمعراج.	١٤٢
٣- الدروس المستفادة من رحلة الإسراء والمعراج.	١٤٢
(٦٠) لماذا الاهتمام بالمسجد الأقصى؟ وما الطريق إلى عودته؟.	١٤٧
١- لماذا الاعتناء بالمسجد الأقصى؟	١٤٧
٢- مكانة المسجد الأقصى وأهميته في الإسلام.	١٤٧
٣- الطريق إلى عودة المسجد الأقصى.	١٥٠

(٦١) المسجد الأقصى إلى أين؟	١٥٤
١-ماذا يراد بالمسجد الأقصى؟	١٥٤
٢-ما واجبنا نحوه؟	١٥٨
(٦٢) دروس من تحويل القبلة.	١٥٩
١- تحويل القبلة من صور الإعجاز القرآني الفريد.	١٥٩
٢- تميز للأمة المسلمة في شخصيتها.	١٦١
٣- التجرد الكامل في السمع والطاعة.	١٦١
٤- مكانة النبي ﷺ عند ربه ﷻ.	١٦٢
٥- أفضلية الأمة المحمدية.	١٦٣
(٦٣) أهمية الوحدة في الإسلام.	١٦٥
١- أهمية الاتحاد في الإسلام.	١٦٥
٢- خطورة الفرقة والاختلاف على المسلمين.	١٦٧
(٦٤) كيف نستقبل شهر رمضان؟.	١٧٠
١- تفاوت الناس في استقبال شهر رمضان.	١٧٠
٢- من الأعمال النافعة عند قدوم رمضان.	١٧٢
(٦٥) من فضائل شهر رمضان.	١٧٦
١- رمضان خير الشهور.	١٧٦
٢- رمضان شهر الصيام.	١٧٧
٣- رمضان شهر القيام.	١٧٩
٤- رمضان شهر القرآن.	١٨٠

٥- رمضان شهر الصدقة (زكاة الفطر).	١٨١
٦- رمضان شهر فيه ليلة خير من ألف شهر(ليلة القدر).	١٨١
(٦٦) ماذا تعلم المسلم من رمضان؟.	١٨٣
١- تعلم المسلم درس التقوى، وحب النافلة، والصبر على المشاق.	١٨٣
٢- تعلم المسلم التمسك بالحلال، وتربية النفس، والمواساة.	١٨٥
٣- تعلم المسلم المواظبة على قراءة القرآن، والزهد في الدنيا، والدعاء.	١٨٦
٤- تعلم المسلم التدريب على حسن الخلق.	١٨٧
(٦٧) الأصالة والمعاصرة في شخصية المسلم.	١٩٠
أولا: جوانب الأصالة في شخصية المسلم:	١٩١
١- التمسك بالعقيدة الإسلامية.	١٩١
٢- الالتزام بالعبادة الصحيحة.	١٩٢
٣- التحلي بالأخلاق الفاضلة.	١٩٣
٤- الالتزام بالمعاملات الإسلامية.	١٩٤
٥- التمسك بآداب الإسلام وسنن نبيه.	١٩٦
٦- التمسك باللغة العربية.	١٩٦
ثانيا: جوانب المعاصرة في شخصية المسلم:	١٩٨
١- معنى المعاصرة.	١٩٨
٢- الأخذ بأسباب العلم.	١٩٩
٣- الأخذ بأسلوب الإحصاء والتخطيط.	١٩٩
٤-النظرة المستقبلية المتفائلة.	٢٠٠

(٦٨) أسباب استجلاب النصر.	٢٠٢
١- الثقة في أن النصر بيد الله ﷻ.	٢٠٢
٢- أسباب النصر قبل المعركة.	٢٠٤
٣- أسباب النصر أثناء المعركة.	٢٠٧
٤-من سنن الله ﷻ في النصر والتمكين.	٢٠٧
(٦٩) دروس من قصة سليمان عليه السلام.	٢١١
الأسس التي أقام عليها سليمان عليه السلام مملكته:	٢١١
١- العلم والقوة.	٢١١
٢- أن الدولة لها رسالة وغاية.	٢١٤
٣- القائد البصير بشئون الرعية.	٢١٥
٤- قيام الأفراد بواجباتهم نحو تلك الغاية.	٢١٧
(٧٠) يوسف عليه السلام ونهضة مصر.	٢٢١
١- الابتلاء قبل التمكين.	٢٢١
٢- يوسف عليه السلام الداعية السجين.	٢٢٣
٣- يوسف عليه السلام وزير التخطيط والزراعة.	٢٢٥
السيرة الذاتية.	٢٢٩
المؤلفات والكتب.	٢٣١
الفهرس.	**٢٤٠-١٣٣**

❁❁❁